كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدسوق

التتميم في القرآن الكريم

عرض ودراسة تطبيقية

إعداد

رشا بسيوني يوسف الدسوقي

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بكفر الشيخ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، ومن سار على نهجه واتبع هديه إلى يوم الدين.

وبعد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيراً ، كتاباً قيِّماً ولم يجعل له عوجاً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أنزله على خير خلقه وبلسان قومه ، قال – تعالى– : ﴿ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ ﴾[1]، وقال – تعالى– : ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠ لَهُم ﴾ [2]، فأنزله – سبحانه وتعالى– بلغة العرب وما يتعارفونه بينهم، ويستعملونه في منطقهم وخطابهم ، ولما كان كل من الإيجاز والإطناب من أركان لغة العرب ، التي تدل على البلاغة والفصاحة، وتضفي على المعنى روعة وجمالًا ، جاء القرآن الكريم مشتملاً على هذين النوعين، ولكن بأسلوب أسمى، ومعنى أدق ، ونقد رفيع، وتركيب بديع، كلٌ في موضعه لايحدوا عنه ، ولا يتعداه، ولكل منهم فوائده الخاصة ، فكما أن للإيجاز فوائد ، فكذلك للإطناب مواضعاً يحمد فيها ، والقرآن الكريم كلام رب العالمين ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، قد جاء بأفصح اللغات والمعاني ؛ فناسب المقال فيه المقام ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٤) .
(٢) سورة الشعراء : الآية رقم (١٩٥).

وقد تناولت في هذا البحث نوعاً من أنواع الإطناب ، يعرف (بالتتميم) وهو أسلوب عربي ، له فوائد جمة منها – المبالغة ، والاحتياط في الوصف ، ورفع الوهم واللبس الذي قد يفهم من الآية – فيؤدي إلى زيادة دلالية في التعبير القرآني ، وإضافة معنى جمالي للآية التي اشتملت عليه ، فكان لوروده الكثير من النكات البلاغية ، وقد تسابق العلماء قديمًا وحديثًا لنيل شرف البحث في القرآن الكريم ، وبيان إعجازه البياني ، وكشف أسراره للناس ، لذا استعنت بالله ؛ ثم ابتدأت في هذا البحث راجيةً من الله– تعالى– أن أنال هذا الشرف .

أهمية هذا الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى: النكات البلاغية التي تفهم من معنى الآية الكريمة التي اشتملت على هذا النوع من الإطناب والذي يؤدي إلى إبراز إعجاز القرآن الكريم من الناحية البيانية ، واثبات أن كل لفظ في القرآن الكريم إنما ورد لفائدة، تظهر هذه الفائدة بالبحث والدراسة ، وبهذا يتجلى لنا معنى قول النبي– صلى الله عليه وسلم– :" وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ"[1]، ففي كل يوم يتم اكتشاف وجهًا جديدًا من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب: فضائل القرآن –باب: أخبار في فضائل القرآن جملة – حديث رقم (٢٠٤٠) (٧٤١/١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِصَالِحِ بْنِ عُمَرَ.

أسباب اختيار الموضوع:

١- توفيق الله -ﷻ- لي باختيار الموضوع ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1].

٢- عدم وجود دراسة خاصة لهذا النوع من البلاغة القرآنية تكشف أسراره ، وتبرز إعجازه ، فلم أجد من صنف في التتميم بحثاً مستقلاً ، وإنما جاءت الإشارة إليه في ثنايا كتب التفسير و البلاغة .

٣- الإسهام في إضافة موضوع جديد يظهر جانبًا من جوانب الإعجاز القرآني ، وذلك بإبراز أقسامه ، ووضع ضابط لكل نوع ، مع وضع شروط عامة له.

٣- كثرة استخدام القرآن الكريم لهذا النوع من البلاغة القرآنية، ما دعاني للبحث عنه ، للوقوف على دقائقه.

٤- التتميم قد تطرق له الكثير من المفسرين في تفاسيرهم عند الآيات التي اشتملت عليه ، مما يدل على الأهمية الكبيرة لهذا الفن خاصة وأنه يرد إما مبالغة، أو احتياطًا، أو صيانه من احتمال الخطأ.

---

(١) سورة الأعراف : الآية رقم (٤٣).

منهجي في البحث

هذا البحث يشتمل على شقين:

الشق الأول – جانب العرض ، وسيكون كمقدمة بين يدي البحث ، فقبل أن أشرع في ذكر أنواع التتميم والشواهد القرآنية لكل نوع . تحدثت عن تعريف التتميم لغة واصطلاحاً، مع وضع تعريف جامع مانع للتتميم من خلال محاولة الجمع بين تعريفات العلماء له، واستنتجت له شروطاً عامة من خلال التعريفات المتنوعة التي ذكرها العلماء، وبينت الفرق بين التتميم وكلًا من التكميل ، والإيغال، والاستقصاء، ثم تحدثت عن عناية المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية من خلال إشارتهم إليه في تفاسيرهم.

الشق الآخر – الدراسة التطبيقية : ذكرت فيها أقسام التتميم ، وقدمت لكل قسم منها بضابط يضبطه .

وسيكون عرض الآيات كنماذج تطبيقية كالتالي:

أولاً– أذكر الآية القرآنية، مقرونة باسم السورة ورقمها ، أو عزوها في الهامش.

ثانياً– أبين موضع التتميم في الآية محل البحث ، والنكتة البلاغية التي أفادها هذا الأسلوب المعجز ، وذلك بالاعتماد على أقوال العلماء والمفسرين ، وما أدى إليه اجتهادي، مؤيدة ما ذهبت إليه بأقوال المفسرين.

ثالثاً– أفرض جدلاً حذف الكلمة أو الجملة (التتميم) من الآية محل البحث والآثر المترتب عليه ، لبيان ما أفاده التتميم من نكات بلاغية، وما أضافه

على الآية من معنى في رفع الوهم ودفع اللبس، ولبيان خلو القرآن الكريم من الزيادة التي لا تأتي لفائدة (الحشو)، فالقرآن الكريم كلام رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ما من حرف منه إلا يأتي لفائدة فهمها من فهمها ،وعمي عنها من عمي.

منهج البحث: التزمت في بحثي هذا بما يلي:

١- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث ، مع كتابة اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها ، فإن كانت في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت به ، وإذا كانت في غيرهم قفيت بذكر درجته .

٣- تخريج الآثار الواردة في البحث من كتب الآثار المعتمدة.

٤- قمت بنسبة الأبيات الشعرية لقائليها مع توثيقها من الدواوين الشعرية ما أمكن ذلك ، فإن لم يكن وثقتها من كتب اللغة التي ذكرت فيها.

٥- الاكتفاء بذكر اسم المرجع ومؤلفه في الهامش ؛ حتى لا أثقله بكثرة البيانات ، وإرجاء عرض بياناته كاملة من التحقيق، ودار النشر، والطبعة في ثبت المصادر والمراجع.

خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى : مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة، ثم ذيلته بالفهارس العلمية.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سرت عليه فيه، وخطة البحث.

وأما المبحث الأول : مدخل للتتميم ، ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعرف التتميم لغة واصطلاحًا، وشروطه.

المطلب الثاني: أنواع التتميم.

المطلب الثالث: الفرق بين التتميم ، والتكميل ، والإيغال ، والاستقصاء.

المطلب الرابع : مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية من خلال كتب التفسير.

المبحث الثاني : أقسام التتميم ، ويشتمل على : تمهيد وثلاث مطالب.

التمهيد : يشتمل على بيان أقسام التتميم ، والفرق بينهم .

أما المطلب الأول: تتميم المبالغة ، ضابطه ونماذج تطبيقية لهذا النوع حسب ورودها في القرآن الكريم.

والمطلب الثاني: تتميم الاحتياط ، ضابطه ونماذج تطبيقية لهذا النوع حسب ورودها في القرآن الكريم.

والمطلب الثالث : تتميم النقص ،ضابطه ونماذج تطبيقية لهذا النوع حسب ورودها في القرآن الكريم..

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس العلمية وتشتمل على:

١ – فهرس المصادر والمراجع. ٢– فهرس محتويات البحث.

المبحث الأول

مدخل للتتميم ، ويشتمل على أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعرف التتميم لغة واصطلاحًا، وشروطه.

المطلب الثاني: أنواع التتميم.

المطلب الثالث: الفرق بين التتميم ، والتكميل ، والإيغال ، والاستقصاء.

المطلب الرابع : مظاهر اعتناء المفسرين بهذا النوع من البلاغة القرآنية من خلال كتب التفسير.

المطلب الأول

تعريف التتميم لغة واصطلاحاً

أولاً - التتميم لغة :

قال ابن منظور: "تَمَّ الشَّيْءُ يَتِمُّ تَمّاً وتُمّاً وتَمامةً وتَماماً وتِمامةً وتُماماً وتِماماً وتُمَّة وأَتَمَّه غَيْرُهُ وتَمَّمَه واسْتَتَمَّه بِمَعَنًى، وتَمَّمَه اللَّهُ تَتْميماً وتَتِمَّةً، وتَمامُ الشَّيْءِ وتِمامَتُه وتَتِمَّتُه: مَا تَمَّ بِهِ، قَالَ الْفَارِسِيُّ: تَمامُ الشَّيْءِ مَا تَمَّ بِهِ، بِالْفَتْحِ لَا غَيْرَ، وأَتَمَّ الشيءَ وتَمَّ بِهِ يَتِمُّ: جَعَلَهُ تَامًّا. قال ابْنُ الأَعرابي:

(إِنْ قلتَ يَوْمًا نَعَمْ بَدْأً، فَتِمَّ بِهَا ** فإِنَّ إِمْضاءَها صِنْف مِنَ الكَرَم[١]).

وَقد جاء فِي الْحَدِيثِ:" أَعوذ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التامَّاتِ"[٢].

قال ابن الأثير: "إنما وصف كلامه بالتمام ؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص، أو عيب كما يكون في كلام الناس" [٣]، وهو تفعيل من قولهم: تممه إذا أكمله، والإِتْمَامُ: القيام بالأمر، قال اللّه- تعالى-:﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[٤]، أي: قوموا بأمورهما، وامرأة حبلى مُتِمٌّ: أَتمَّت أيام حَمْلها ، والتَّتْمِيم والتَّتِمَّة : الإِتمام، وَرَجُلٌ مُتَمِّم إذا فازَ قِدْحُه مرَّة بَعْدَ مرَّة فأَطعَم لَحْمَه الْمَسَاكِينَ. وتَمَّمَهم: أَطعمهم نَصِيبَ قِدْحه وتَتْمِيم الأَيسار: أن تُطْعِم فوزَ قِدْحِك كلّه لا تنقص منه شيئاً، [٥].

---

(١) مجمع الأمثال ، لأبي الفضل النيسابوري ، باب : بنس الردف لا بعد نعم (٩٨/١)،و الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، لأبي الفرج النهروني (٤١٩/١)، والمعجم المفصل في شواهد العربية، لإيميل يعقوب (٣١٦/٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب: الذكر والدعاء والتوبة- باب: التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره – حديث رقم (٢٧٠٨) – (٢٠٨١/٤) ، وتمام الحديث: عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُلَمِيَّةِ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ ".

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (تمم) (١٩٧/١)، ولسان العرب، لابن منظور . مادة:(تمم) (٦٧/١٢).

(٤) سورة البقرة : أية رقم (١٩٦).

(٥) لسان العرب، لابن منظور. مادة:(تمم) (٦٧/١٢).

قال النابغة:

(أَنِّي أُتَمِّمُ أَيْسَارِي وأَمْنَحُهُم ... مَثْنى الأَيَادِي وأَكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُما[١]).

آخراً- التتميم في الاصطلاح.

عرف التتميم عند العلماء بأكثر من اسم [٢]، وعرفوه بأكثر من تعريف :-

فعند أهل المعاني : عبارة عن الإتيان في الكلام نظماً كان أو نثراً بكلمة ، أو جملة إذا طرحت منه نقص حسنه ومعناه.

وعرفه ابن المعتز: بأنه اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمّمه، وشرح حدّه بأنه: الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه ومبالغته، مع أن لفظه يوهم بأنه تامّ [٣].

وقيل هو : عبارة عن تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن.[٤]

وقيل: هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التى تتم بها صحته ، وتكمل بها جودته إلا أتى به. **مثل قول نافع بن خليفة الغَنَويُّ:**

(رِجالٌ إذا لمْ يُقْبَلِ الحقُّ منهمُ ** ويُعْطَوْهُ، عاذوا بالسيوفِ القواضِبِ)[٥].**

فقوله: "**ويعطوه**" تتميم تمت جودة المعنى به ، وإلا كان المعنى منقوصًا صحته، **ومثل قول عمير بن الأيهم التغلبي:**

---

(١) معجم ديوان الأدب، للفارابي (٣٣/٤).و مَثْنَى الأَيادي: أَن يأْخُذَ الرجلُ القِسْمَ مرَّةً بعد مَرَّةٍ. وقال أَبو عُبيدَةُ : هي الأَنْصباءُ التي كانت تَقْصُل من الجَزورِ في الميْسِرِ عَن السِّهام، وكان الرَّجلُ الجَوادُ يشْتَريها فيُطْعِمُها الأَبرامَ، وهم الَّذين لا يَيْسِرُون. و مثنى الأيادي: إعادة المعروف. والأُدُم ههنا، اللحم. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لأنيس بن سعيد الحميري (٧٠٩/٢).

(٢) فعرف عند ابن ارشيق وابن المعتز والحاتمي: بالتتميم ، وسماه ابن أبي الإصبع بالاحتراس ، وهو التحرز مما يوجب الطعن عند ابن سنان ، وسماه الجاحظ : إصابة المقدار. والمعروف في لغة العرب أن كثرة الأسماء وتنوعها دليل على شرف المسمى.

(٣) البديع في البديع لابن المعتز (١٥٤/١)،و نهاية الأرب في فنون الأدب (١١٩،١١٨/٧) ، وخزانة الأدب وغاية الأرب للحموي (٢٧١/١).

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، للعلوي (٥٩/٣).

(٥) نقد الشعر لقدامة بن جعفر (٤٩/١).

(بها نلنَا القرائبَ من سوَانا ... وأحرزنَا القرائبَ أن تنالا)[١]

فالذي أكمل جودة هذا البيت قوله: "**وأحرزنا القرائب أن تنالا**" ، مع أنهم القرائب من سواهم.

ومنه قول أعرابية لرجل :"كبت الله كل عدو لك إلا نفسك"

فقولها :"**إلا نفسك** " تتميم به تم الدعاء ؛لأن نفس الإنسان تجري مجرى العدو له، يعني: أنها تورطه وتدعوه إلى مايوبقه[٢].

وعرفه أبو حيان بقوله : "هو إرداف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه للفهم" [٣].

وقال الزركشي : "هو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة ، أو احترازاً، أو احتياطًا، كقوله –تعالى–: ﴿**أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟**﴾[٤]، فالتتميم في قوله –تعالى–: ﴿**أُخْتَهَا**﴾ جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه[٥]، وكذلك قوله–تعالى–: ﴿**وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ**﴾ [٦]، وكقوله– تعالى– : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ [٧]، فقوله – تعالى–: ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ تتميم في غاية الحسن" [٨].

---

(١) المصدر السابق

(٢) الصناعتين (٣٨٩/١).

(٣) البحر المحيط ، لأبي حيان (٢/ ١١٧).

(٤) سورة الإنسان : الآية رقم (٨).

(٥) وعن الفضل بن عياض: أن الضمير في قوله –تعالى-:(على حبه) يعود إلى الله –تعالى- ، ويكون المعنى : " على حب الله " ، فلا يكون مما نحن فيه – أي لا يكون من باب التتميم- ؛لأن جعل الضمير لله -تعالى -، أي: لأجله ، فقد اشترط الإخلاص، وهو لتأدية أصل المراد، فيكون غير تتميم؛ لأنه يكون مساواة لا إطنابًا. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة (٣١٢/٣). بتصرف

(٦) سورة البقرة : الآية رقم (١٧٧).

(٧) سورة النساء: الآية رقم (١٢٤).

(٨) البرهان في علوم القرآن ، النوع السادس والأربعون (٧٠/٣)

ومن التتميم – أيضًا – قول النبي– صلى الله عليه وسلم – : " **أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ**"(١)، فقوله – صلى الله عليه وسلم- **:" وذكر لله "** تتميم بليغ.

قال الطيبي: "هذا من باب التتميم ؛ فإنه لما أضاف الأكل والشرب إلى الأيام ، أوهم أنها لا تصلح إلا للدعة، والأكل، والشرب ؛ لأن الناس في هذه الأيام ينبسطون فتدارك بقوله:" **وذكر اللّه**" لئلا يستغرقوا أوقاتهم باللذات النفسانية فينسوا نصيبهم من الروحانية **"** (٢).

ومنه –أيضا – ما ورد في حديث أم زَرْعٍ من وصف زوجة لزوجها فقالت :" **زَوْجِيَ الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ، وَأَنَا أَغْلِبُهُ وَالنَّاسَ يَغْلِبُ**" (٣)**. قال ابن حجر:**" وأما قولها:" **والناس يغلب**"، ففيه نوع من البديع يسمى: التتميم ؛ لأنها لو اقتصرت على قولها:" وأنا أغلبه" لظن أنه جبان ضعيف، فلما قالت :"والناس يغلب" دل على أن غلبها إياه إنما هو من كرم سجاياه، فتممت بهذه الكلمة المبالغة في حسن أوصافه" (٤).

هذه هي أبرز التعاريف التي أوردها العلماء في بيان حد هذا النوع من البلاغة القرآنية، بعضها من بعض ، وجمعاً بين أقوال العماء في بيان حده وتأليفًا بين النصوص يمكن لنا أن نستخلص من هذه التعريفات تعريفاً أراه شاملاً.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الصيام – باب: تحريم صوم أيام التشريق – حديث رقم (١١٤١)- (٨٠٠/٢).

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير ، للمناوي (٤٨/٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير – باب: طرق حديث أم زرع وحسن عشرة النبي- صلى الله عليه وسلم- حديث رقم (٢٦٨) –(١٦٨/٢٣)." الزَّرْنَبُ" نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ مَعْرُوفٌ قِيلَ أَرَادَتْ طِيبَ رِيحِ جَسَدِهِ وَقِيلَ طِيبُ ثِيَابِهِ فِي النَّاسِ وَقِيلَ لِينُ خُلُقِهِ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ ،"وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ" صَرِيحٌ فِي لِينِ الْجَانِبِ وَكَرَمِ الْخُلُقِ. ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم –باب: فضل عائشة (٢١٥/١٥).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر – باب- حسن المعاشرة مع الأهل (٢٦٥/٩).

فأقول: "التتميم هو تقيد الكلام بفضلة كلمة كانت أو جملة ترفع عنه اللَبس وتقربه للفهم ،لإفادة نكتة ، إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً، وإذا طرحت نقص حسنه ومعناه، مع أن لفظه يوهم بأنه تام".

شروط التتميم:

لابد للتتميم من شروط وضوابط تضبطه وتسوغه ، وبالنظر في التعريفات السابقة، والتي تناول فيها العلماء التتميم بالشرح والبيان يمكننا أن نستخلص بعض الشروط التي يجب توافرها في هذا النوع من البلاغة القرآنية الرائعة السامية ، والتي بتوفرها يُضْبَط المعنى ويزداد حسنه، وبفقدانها تخرجه عن كونه كلامًا بليغاً، إلى كونه تطويلًا في الكلام ، وحشوًا يتنزه عنه كلام البلغاء، فضلًا عن كلام رب العالمين الذي أعجزهم بفصاحته وبلاغته ، بإيجازه ، وإطنابه وهي.

١- أن يرد في كلام لا يوهم خلاف المقصود.

٢- أن تكون اللفظة أو الجملة المختارة للتتميم زائدة على الأصل المراد.

٣- أن يكون ورودها لإفادة نكتة بلاغية.

٤- أن يؤدي حذفها إلى نقص حسن المعنى المراد، مع أن اللفظ يوهم بالتمام.

المطلب الثاني

أنواع التتميم

يقع التتميم على نوعين:

النوع الأول: في المعنى. **النوع الآخر: في اللفظ .**

أما النوع الأول: منه قوله- تعالى-:﴿كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ﴾[1]، فقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ تتميم، وقوله- تعالى-: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا ﴾ تتميم ثان في غاية البلاغة.

فالناظر في هذ النص يجد أننا لو حذفنا عبارات التتميم تصير الآية:﴿كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾..... لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ ﴾

فالمعنى مقبول لكنه غير بليغ ، ولا أفاد ما أفاده التقيد بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ فحتى لا يظن ظان اقتصار وقوع العمل على نوع واحد فقط ذكراً كان أو أنثى ، تتمه الله بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ ليدخل الفرقين معاً، ولما كان مناط قبول العمل هو الإيمان وأن الله- تعالى- لا يثيب في الآخرة إلا من كان مؤمناً ، فجاء قوله- تعالى-: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا ﴾ تتميم ثان في غاية البلاغة والروعة ، فنجد النص القرآني بعد إضافة عبارات التتميم إليه في غاية الاتقان ، ولو تم حذفها لأوهم اللَّبس.

ومنه قول النبي - صلّى الله عليه وسلم-: " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ

---

(١) سورة النحل : الآية رقم (٩٧).

يُصَلِّي لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنْ غَيْرِ فَرِيضَةٍ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ، أَوْ بَنَى الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهِنَّ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ "(١)

فوقع التتميم في هذا الحديث في أربعة مواضع: قوله –عليه السلام–: "مسلم، ولله، كل يوم، ومن غير الفريضة".

فالحديث الشريف لو أجرينا عليه ما أجريناه على الآية الكريمة يكون : "ما من عبد... يصلي...، ... اثنتي عشرة ركعة... إلا ابتنى الله له بيت في الجنة"

فالحديث بهذه الألفاظ بعد حذف الفاظ التتميم مقبول، لكنه موهم في المعنى المراد منه ؛ لأن العبد في الحديث غير معلوم المراد به، فتمم النبي – صلى الله عليه وسلم– **بقوله :" مسلم"** ؛لأنه مناط قبول العمل، **وقوله :"لله"** قيَّد خرج به أن يكون العمل لغير وجه الله ؛ فإنه محبط للعمل ، **وقوله ""كل يوم"** أفادت أن هذا العمل المراد به الاستمرار، وقوله: "**من غير الفريضة** " خرج بها من صلى فريضه ؛ لأن هذه الصلاة واجبة ؛ إذ لم يفعلها عوقب على تركها، فجاء بهذا اللفظ حتى يزيل الوهم ويرفعه في أن المراد بها الصلاة الواجبة، وحددها بأنها صلاة من عبد مسلم ابتغاء وجه الله ، ومن غير الفريضة، فهذه العبارات أعطت الحديث الشريف رصانة في الأسلوب ، و جزالة في المعنى ، وحددت تحديداً دقيقاً المراد منه حتى لا يلتبس الأمر على المسلمين.

وأما النوع الآخر في اللفظ : ويعرف بتتميم الأوزان.

وهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن ؛ بحيث لو طرحت الكلمة استقلّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب: صلاة المسافرين وقصرها- باب: فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن – حديث رقم (٧٢٨) – (٥٠٣/١)،وأحمد في مسنده – مسند أم حبيبة - حديث رقم (٢٦٧٧٥) (٤٦٢/٤٤).

معنى البيت بدونها، وهو على ضربين:

أحدهما – مجيء الكلمة لا تفيد غير إقامة الوزن فقط، ومثاله قول المتنبي:

(وخُفوقُ قلبٍ لوْ رأيت لهيبَهُ ... يا جَنّتي لظننتِ فيه جَهنمَا [١]**)**.

فإن المعنى تام، لكنه لما كان الوزن غير مستقيم لو انخرم عن قوله يا جنتي ، أتى بها من أجل استقامة الزنة لا غير، فحصل طباق وحسن موقع لا يوجد مع حذفها، وقصد بها دون غيرها مما يسدّ مسدّها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل بغيرها[٢]، ولو قال عوضها: « يا منيتي » لاستقام الوزن، لكن لا طباق فيها ولا يكون لها موقع حسن[٣].

الآخر – يؤتى به ليفيد مع إقامة الوزن نوعاً من الحسن.

فالأوّل من العيوب ، والثاني من المحاسن، والكلام هنا في الثاني. ومثاله قول المتنبي:

(وَتَحتَقِرُ الدُنيا اِحتِقارَ مُجَرِّبٍ .. يَرى كُلَّ ما فيها وَحاشاكَ فانِيا) [٤].

فإن قوله:" **وحاشاك** " لم تدخل لكمال الوزن فقط، فقد أفادت معنى حسنًا؛ لأنك لو قلت: وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ترى كل ما فيها فانياً، كان كلاماً صحيحاً مستقيماً، فقد أفادت مع إصلاح الوزن دعاء حسنًا للممدوح في موضعه[٥].

ومنه قول النبي – صلى الله عليه وسلم– فيما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي (٢٢٠/١).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (١١٩،١١٨/٧) ، و خزانة الأدب وغاية الأرب ، للحموي (٢٧١/١).

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٥٨/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (١١٩،١١٨/٧) ، و خزانة الأدب وغاية الأرب ، للحموي (٢٧١/١).

(٤) ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي (٢٧٤/١).

(٥) سر الفصاحة ، لابن سنان (١٤٧/١).

رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَرَ الحَدِيثَ –، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ**" [١].

فقوله – صلى الله عليه وسلم – : " **وهو كذوب**" هو من التتميم البليغ؛ لأنه لما أوهم مدحه بوصفه الصدق في قوله :"**صدقك**" استدرك نفي الصدق عنه بصيغة مبالغة، والمعنى : صدقك في هذا القول مع أن عادته الكذب المستمر [٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: بدء الخلق –باب: صفة إبليس وجنوده – حديث رقم (٣٢٧٥). (١٢٣/٤).

(٢) فتح الباري مع هدي الساري ، لابن حجر –باب: فضل سورة البقرة (٥٦/٩)، ومراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لأبي الحسن المباركفوري (١٩٤/٧).

المطلب الثالث

الفرق بين التتميم ، والتكميل ،والإيغال، والاستقصاء

قبل الشروع في استخراج شواهد التتميم من القرآن – الكريم– لابد لنا أن نفرق بين التتميم وغيره من ألوان البلاغة ، كالتكميل، والإيغال، والاستقصاء.

أولًا – الفرق بين التتميم، والتكميل.

أن التتميم يرد على الناقص فيتمه، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التتميم، و–أيضًا–، أن التمام : يكون متممًا لمعاني النقص لا لأغراض الشعر ومقاصده، والتكميل يكملها.(١)

فالتكميل: أن يأتي المتكلم ، أو الشاعر بمعنى من معاني المدح ، أو غيره من فنون الشعر وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمله بمعنى آخر، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة ورأى مدحه بالاقتصار عليها دون الكرم مثلاً غير كامل، فكمله بذكر الكرم، أو بالبأس دون الحلم، وما أشبهه ، وقد جاء في الكتاب العزيز في قوله – تعالى– :﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾(٢)، فقوله – تعالى–:(رحماء بينهم) تكميل أتي بها ؛ ليفهم أن شدتهم على الكفار ليست جبلة لهم ولا خلقاً لا يستطيعون الفكاك منه ، وهذا ليس مقصداً للتتميم(٣).

قال أبو البقاء: التمام يقابل نقصان الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله– تعالى–: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(٤).أحسن من(تامة) ؛ لأن التمام من العدد قد علم، وإنما احتمال

(١) خزانة الأدب (٢٧٣/١) ، وأنوار الربيع في أنواع البديع (١:٣٩٧).
(٢) سورة الفتح : الآية رقم (٢٩).
(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر- باب: التكميل (٣٥٧/١).
(٤) سورة البقرة : الآية رقم (١٩٦).

النقص في صفاتها، وقيل: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف، والتمام: اسم للجزء الذي يتم به الموصوف[١] ، **ومنه قول عوف بن ملحم السعدي:**

(إِن الثَّمانِينَ وَبُلِّغْتَها ... قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعي إِلَى تَرْجُمانِ) [٢].

فقوله :" **وبلغتها** " تكميل ؛ لأن معنى البيت بدونها تام ، وإذا لم يكن المعنى ناقصًا ، فكيف يسمى هذا تتميمًا، وإنما هو تكميل حسن[٣].

ثانيًا– الفرق بين التتميم ، والايغال .

أن التتميم يجعل المعنى الناقص تامًا، والإيغال يفيد المعنى التام نكتة لا يتوقف تمامه عليها[٤].

فالإيغال: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كالمبالغة في التشبيه، أو تحقيقه ، أو زيادة الحث والترغيب ، وهذا ليس قصداً للتتميم.

ومن أمثلة الإيغال قوله – تعالى– : ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[٥]؛ فإن المعنى قد تم بقوله – تعالى - : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا** ﴾، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ﴿ **لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ فلما أتي بها أفادت معنى زائداً.

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء الكفوي (٢٩٦/١).

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع (٣٩٧/١)، ودواوين الشعر العربي على مر العصور (٢٣٥/٨٣).

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر – باب التكميل (١/ ٣٦٠). هذا بيت من بحر السريع من قصيدة لأبي المنهال عوف بن محلم، الخزاعي، الشيباني، يقولها في مدح عبد الله بن طاهر، وكان قد دخل عليه، فسلم، وأجابه عبد الله، فلم يسمع، فلما أعلم بذلك دنا منه وارتجل قصيدة أولها:

يا بن الذي دان له المشرقان *** طرا، وقد دان له المغربان

والترجمان: بفتح التاء والجيم أو ضمهما أو فتح التاء وضم الجيم- وأصله الذي ينقل إليك كلام غيرك عن لغته إلى لغتك. يعتذر الشاعر عن عدم سماعه تحية الممدوح بأنه قد طعن في السن، وطال به العمر، ويدعو للممدوح بأن ينسأ الله له في أجله ويطيل بقاءه.

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع (٤٣٢/١).

(٥) سورة المائدة: الآية رقم (٥٠).

وقيل الفرق بينهم من ثلاثة أوجه:

الأول– أن التتميم لا يرد إلا على كلام ناقص شيئاً ما، إما حسن معنى أو أدب، أو ما أشبه ذلك، والإيغال لا يرد إلا على معنى تام من كل وجه.

الثاني – اختصاص الإيغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه، لأن الموغل في الأرض هو الذي قد بلغ أقصاها أو قارب بلوغه، فلما اختص الإيغال بالطرف لم يبق للتتميم إلا الحشو.

والثالث– أن الإيغال لا بد وأن يتضمن معنى من معاني البديع، والتتميم قد يتضمن وقد لا يتضمن، وأكثر ما يتضمن الإيغال التشبيه، والمبالغة، حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقاً، والتتميم يتضمن طوراً المبالغة، ويتضمن حيناً الاحتياط، ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى(١).

ثالثًا – الفرق بين التتميم والتكميل والاستقصاء.

قال ابن أبي الإصبع : "والفرق بين التتميم، والتكميل، والاستقصاء. أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم ، والتكميل يرد على المعنى التام فيكمل أوصافه والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه، وعوارضه، وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه، فلا يبقى لأحد فيه مساغ" (٢).

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص٢٤١

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢٨١/١)،والإتقان في علوم القرآن (٢٠٠/٢).

المطلب الرابع

اعتناء المفسرون بهذا النوع من البلاغة القرآنية من خلال كتب التفسير.

اعتنى المفسرون بهذا الفن من البلاغة القرآنية وأشاروا إليه في ثنايا تفاسيرهم لاسيما في كتب التفسير التي تعني بإبراز جوانب الإعجاز اللغوي ، والبياني للقرآن الكريم ، فمن هؤلاء المفسرين.

الإمام الزمخشري في تفسيره يشير إلى هذا النوع من البيان القرآني الرائع، ويقفي بالحكمة من وجوده في الآية، فعند تفسيره لقوله –تعالى–:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [١] قال:" وينشئ مكانهم آخرين، يعني : أنه تتميم لما قبله ؛ لأنه لا يتعاظمه أن يهلك قرناً ويخرب بلاده منهم؛ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده ،كقوله–تعالى–: ﴿ لَا نُفَتِّحُ لَهُمْ ﴾"[٢][٣].

وابن عطية قد رودت عنه إشارات واضحه إلى التتميم ، فمثلاً عند تفسير قوله –تعالى– :﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا ﴾ [٤] قال:" وقوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا ﴾ تتميم بليغ للنعيم ؛لأنه رب مرزوق غير مكرم، وذلك أعظم التنكيد"[٥].

---

(١) سورة الأنعام : الآية رقم (٦).
(٢) سورة الشمس : الآية رقم (١٥).
(٣) الكشاف للزمخشري (٦/٢).
(٤) سورة الصافات : الآية رقم (:٤١،٤٢).
(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٧١/٤).

والامام أبو حيان في تفسيره قد تعرض لهذا النوع من البديع ، وعرفه، فعند تفسيره لقَوْلِهِ – تعالى– : ﴿**أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ**﴾ [١] قال: " فيهاَ نوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ يُسَمَّى التَّتْمِيمَ، وهو إرداف الكلام بكلمة يرفع عَنْهُ اللَّبْسَ، وَتُقَرِّبُهُ لِلْفَهْمِ ، كَقَوْلِهِ – تَعَالَى– : ﴿**وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**﴾ [٢]، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّةَ مَحْمُودَةٌ ، وَمَذْمُومَةٌ، فَالْمَحْمُودَةُ : طَاعَةُ اللَّهِ، كَقوله – تعالى–: ﴿**لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا**﴾[٣]، وقوله –تعالى–:﴿**فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾ [٤]، فَلَمَّا قَالَ: بِالْإِثْمِ، اتَّضَحَ الْمَعْنَى وَتَمَّ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهَا الْعِزَّةُ الْمَذْمُومَةُ الْمُؤَثِّمُ صَاحِبُهَا"[٥].

والإمام البقاعي لم يترك هذه الدرة البديعة في الحديث عنها، فنظمها وأجلى محاسنها، وبين الحكمة من مجيئها، فأضفت بياناً وجمالاً للنظم القرآني، فعند تفسير قوله –تعالى–:﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾[٦] قال: " ولما جرت العادة بأن العدو قد يستمهله عدوه في بعض الأوقات، لمثل وصية، وقضاء حاجة فيمهله، أخبر تتميمًا لعدم الاكتراث بهم أنهم كانوا دون ذلك فقال: "وما كانوا" ولما كان هذا لكونه خيراً عنهم بعد مضيهم المقصود منه تحذير من بعدهم فقط، لم يذكر التقييد بذلك الوقت بإذن ونحوها، دلالة على أن ما كانوا فيه من طويل الإمهال كان كأنه لم يكن لعظم هذا الأخذ بخلاف ما مر في الحجر من التخويف من إنزال الملائكة عليهم، فإن تقييد عدم الإنظار بذلك الوقت، لرد السامعين عن طلب إنزالهم، فقال –تعالى–: "منظرين ؛ أي : ممهلين عما أنزلنا بهم

---

(١) سورة البقرة :الآية رقم (٢٠٦).
(٢) سورة الأنعام الآية رقم (٣٨).
(٣) سورة المنافقون : الآية رقم (٨).
(٤) سورة النساء :الآية رقم (١٣).
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٣٣٣/٢).
(٦) سورة الدخان : الآية رقم (٢٩).

من المصيبة من ممهل ما لحظه فما فوقها ، ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه، وينظروا في شيء مما يهمهم ، بل كان أخذهم لسهولته علينا في أسرع من اللمح، لم يقدروا على دفاع، فنالهم عذاب الدنيا، وصاروا إلى عذاب الآخرة، فخسروا الدارين، وما ضروا غير أنفسهم" [١].

وها هو العلامة الطاهر بن عاشور يدلي بدلوه كعادته في ابراز الجوانب البلاغية التي تحتوي عليها الآية، فيقول عند تفسير قوله –تعالى–:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ﴾[٢] " فالمقصود الأصلي من هذا الكلام هو قوله–تعالى–: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا﴾ ؛ لأن المهم ما في الأرض ؛ إذ هم متعلق الجزاء، وإنما ذكر معه ما في السماوات على وجه التتميم ؛ للإعلام بإحاطة ملك الله لما احتوت عليه العوالم كلها ، ونكتة الابتداء بالتتميم دون تأخيره الذي هو مقتضى ظاهر في التتميمات هي الاهتمام بالعالم العلوي ؛ لأنه أوسع وأشرف، وليكون المقصود وهو قوله–تعالى–: ﴿ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا ﴾ الآية مقترناً بما يناسبه من ذكر ما في الأرض لأن المجزيين هم أهل الأرض، فهذه نكتة مخالفة مقتضى الظاهر" [٣].**هذه أبرز الإشارات التي وردت عن المفسرين ، لهذا النوع من البلاغة –التتميم– في القرآن الكريم.**

المبحث الثاني: أقسام التتميم.

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٠/١٨).
(٢) سورة النجم : الآية رقم (٣١).
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(١١٩/٢٧).

تمهيد:

تبين لنا مما سبق أن التتميم يأتي في كلام غير تام الدلالة ؛ ليزيل عنه الوهم واللبس ويقربه إلى الفهم ، و التتميم إما أن يؤدي وجوده في التعبير إلى زيادة معنى لم يتم إلا به ، ولم يفهم إلا بوروده ، أو يكون وروده لينقص معنى معين من مفردة بعينها في السياق، هذا المعنى غير مراد التصور؛ لأن تصوره يحيل المعنى، أو أن السياق يحتمل معنى، وهذا المعنى غير مراد وحده ،بل هناك معنى آخر تحتمله الآية ولابد منه، فيرد التتميم للاحتياط في وصفه صيانة عن احتمال الخطأ، وبيان المعنى المراد منه على وجه التمام.

أولًا: أقسام التتميم.

قال العلوي:" يرد التتميم على ثلاثة أوجه:

الأول– أن يكون وارداً على جهة المبالغة ، بأن تكون الفائدة في تلك الفضلة إنما هي المبالغة لا غير، كقول زهير بن أبي سُلْمَى يمدح هَرِم بْنَ سِنان.

(مَنْ يَلْقَ يَوْماً عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِماً ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقاً)[١].

فقوله :"**عَلى عِلاَّتِهِ**" ، أي: عَلى كُلِّ حَالٍ من أحواله، في انشراحه وانقباضه، وسروره وحُزْنه، ويُسْرِه وعُسْرِه، فقد جاءت عبارة "**عَلَى عِلاَّتِهِ**" تَتْميماً جميلاً ذا فائدة أضاف معنى زائداً وهو المبالغة، والتي يفتقر اليها المعنى في حال عدم وجودها [٢].

الثاني: أن تكون واردة على جهة الصيانة عن احتمال الخطإ، فترد رافعة له، ومثاله ما قاله طرفة بن العبد:

(فَسَقى دِيارَكِ غيرَ مُفْسِدِهَا ***صَوْبُ الرّبيع وديمةٌ تَهْمِي)[٣].

---

(١) البديع في نقد الشعر (٢٩٠/١)، والإيضاح في علوم البلاغة (٢١٣/٣).

(٢) البلاغة العربية ،لابن حَبَنَّكَة (٨٩/٢)، وتاريخ أدب العرب ، للرافعي(١٦٠/٢).

(٣) الْبَيْت لطرفة بن العَبْد من قصيدة من الْكَامِل يمدح بهَا قَتَادَة بن مسلمة الْحَنَفِيّ وَكَانَ قد أصَاب قومه سنة فَأَتوهُ فبذل لَهُم وأولها : إن امرَأً سَرفَ الفَوَادِ يرى ... عَسَلاً بِمَاء سَحَابَة شَثْمِي. ينظر:

فقوله: "**غير مفسدها**": فضلة واردة لرفع الإيهام الحاصل ممن يدعو على الديار بكثرة المطر ليكون مفسداً لها، فانظر إلى موقع هذه اللفظة ما أرقه وما ذاك إلا من أجل ما اشتملت عليه من هذا الاحتراز الذى ذكرناه.

وهكذا قول من قال:

(لئن كانَ باقي عيشنا مثلُ ما مَضى* فللموتِ إن لم يدخل النار أروحُ) [١].

فقوله:" **إن لم يدخل النار**" معناه سلامة العاقبة، وأراد أن أول الحب كان فيه خفض عيش ولذة وراحة، فإن كان آخره مثل أوله فالحب لا محالة أحمد عاقبة، لكن بشرط أن تكون العاقبة فيه سليمة عما يشوبها، لأن الحب الأكثر فيه أن يكون خطأ تكاد أن تكون عقابته وخيمة يدخل بسببها النار، فإذا كان هذا سليمة عواقبه فهو أروح، يعنى: مشتهى لسلامته عما لا يكاد ينفك عنه.

الثالث– أن يكون وارداً على جهة الاستقامة للوزن ، ولا يحتاج إليه في المبالغة ولا للاحتراز، ومثاله قول المتنبي:

(وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتى لرأيت فيه جهنّماً)

فإن المعنى تام، لكنه لما كان الوزن غير مستقيم لو انخرم عن قوله يا جنتى، أتى بها من أجل استقامة الزنة لا غير، فحصل طباق وحسن موقع لا

يوجد مع حذفها، ولو قال عوضها «يا منيتى» لاستقام الوزن، لكن لا طباق فيها ولا يكون لها موقع حسن. [٢]

<u>والمتأمل في قول العلوي يجد ما يلي:</u>

أولاً: أن النوع الثالث وهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن فقط ، لا لغرض آخر لا يمكن بحال من الأحوال أن يقع في القرآن الكريم– كلام

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبي الفتح العباسي (٣٦٢/١)، ، و البلاغة العربية، لابن حبنَّكة (٨٥/٢).

(١) البيت لأبي الطيب ابن الوشاء، المنصف للسارق والمسروق منه ، لابن وكيع (٦٨١/١).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٨٥/٢).

رب العالمين –؛ لأن العرب عدوه من عيوب الشعر– ولاستحالة حاجة الله –تعالى– إلى كلمة ويكون القصد منها إقامة الوزن فقط ويحتاج إليها حاجة لا يمكن أن يسد غيرها مسدها ، فهذا إن وجد في كلام البشر، إلا أنه يستحيل أن يوجد في القرآن ، و–أيضًا– فالقرآن الكريم ليس بموزون ولا مقفى. **إذاً هذا النوع يكون في الشعر والنثر ويستحيل وجوده في القرآن.**

آخراً: بقي لنا النوعين الأول والثاني وهما اللذان يقعان في المعنى:

الأول: تتميم المبالغة ، وهو الذي يؤتى به لإفادة المبالغة في الوصف ، وهذا كثير الوقوع في القرآن الكريم والشواهد القرآنية عليه كثيرة جدًا، سأبين بعضها في المطلب الأول إن شاء الله –تعالى–.

أما الثاني: وهو الذي يؤتى به للاحتياط في الوصف وللصيانة من احتمال الخطأ في المعنى، فأرى أنه يشتمل على النوع الثاني والثالث، و**هما تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط.**

لكن لابد هنا من سؤال متى يكون التتميم للنقص ، ومتى يكون للاحتياط؟

يكون التتميم للنقص إذا كان في الآية كلمة، أو لفظة توهم معنى هذا المعنى غير مراد التصور، فيؤتى بلفظ التتميم لإزالة هذا الوهم الغير مراد من اللفظة .

ويكون التتميم للإحتياط عندما يؤتى في الآية بوصف ويكون المراد إضافة وصف آخر، وليس المراد الاقتصار على الوصف الأول ، إذ الاقتصار على الوصف الأول منهما يؤدى إلى الخطأ في الفهم، فيؤتى بلفظ التتميم مشتملاً على وصف آخر ، وباجتماع الوصفين يندفع الوهم ويزول اللبس.

ومن خلال ما سبق يمكن لنا أن نقسم التتميم في المعنى إلى ثلاثة أقسام :

الأول: تتميم المبالغة.

الثاني: تتميم الاحتياط.

الثالث: تتميم النقص.

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي اشتمل عليها القرآن الكريم.

ثانيًا: الفرق بين أقسام التتميم الثلاثة:

من خلال العرض السابق نستطيع أن نلتمس الفرق بين كل من الأقسام الثلاثة فيما يلي:

أولًا: تتميم المبالغة يؤدي وجوده إلى زيادة دلالية في الآية المشتملة عليه سواء كانت الزيادة في المدح أو الذم .

ثانيًا: تتميم النقص يؤتى به: لإزالة معنى معين من مفردة بعينها في سياق الآية هذا المعنى غير مراد التصور.

ثالثًا: تتميم الاحتياط يؤتى: به لإضافة معنى آخر غير المعنى الموجود في الآية- فالمراد هو مجموع الوصفين- بحيث لو اقتصر على المعنى الأول فقط أدى إلى الوهم واللبس فالمعنى الأول والثاني معًا مرادان في الآية.

وسأبين فى المطالب الثلاثة القادمة ضابط كل نوع مع بعض الأمثلة التطبيقية لشواهد ورود التتميم بأنواعه الثلاثة في القرآن الكريم. أرجو من الله التوفيق والسداد.

المبحث الثاني

ضابط كل قسم من أقسام التتميم ونماذج تطبيقية له

ويشتمل على ثلاث مطالب:

المطلب الأول: ضابط تتميم المبالغة ، ونماذج تطبيقية له حسب ورودها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ضابط تتميم الاحتياط ، ونماذج تطبيقية له حسب ورودها في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ضابط تتميم النقص ، ونماذج تطبيقية له حسب وروده في

المطلب الأول

ضابط تتميم المبالغة ، ونماذج تطبيقية له حسب ورودها في القرآن الكريم.

أولًا : ضابطه.

يمكن ضبط هذا النوع بما يلي: أن يكون لفظ التتميم وارداً على جهة المبالغة ، بأن تكون الفائدة فى تلك الفضلة إنما هى المبالغة في الوصف– سواء كانت المبالغة في المدح أو المبالغة في الذم[١]، أي: أنه يؤدي إلى زيادةٍ دلالية عن طريق اللفظة المختارة للتتميم، والتي تؤدي إلى التنويع لغايةٍ تعبيرية خاصة[٢].

ثانيًا: نماذج تطبيقية لهذا النوع من التتميم حسب ورودها في القرآن الكريم.

سأتناول في هذا المطلب عدداً من الآيات القرآنية التي اشتملت على هذا النوع بالتحليل والدراسة؛ لبيان مواضع التتميم فيها ، وابرز ماأفاده من نكات بلاغية وجمالية ، فمن شواهد هذا النوع ، قوله–تعالى– :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾[٣].

يصور القرآن الكريم نموذجًا للنفاق في صورة قرآنية تدل على حقارة سلوك المنافق، فتقشعر منه النفس، وتشمئزُّ من سلوكه، وتأبى أن تكون على مثاله من الظلم والفساد، فما الحياة عنده إلا صفقة تجارية لا يعرف إلا أسلوب البيع والشراء، والكسب والربح والخسارة والبوار والضلال والزيف، مثل هؤلاء هم المنافقين الذين باعوا أنفسهم للدنيا بالآخرة، فخسروا الاثنتين معًا ، وقد سلَّط النفي على الربح مباشرة، لا على التجارة، لأن التجارة قد

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٨٥/٢).
(٢) موقع ملتقى أهل التفسير على شبكة الإنترنت vb.tafser.net
(٣) سورة البقرة : الآية رقم (١٦).

يقع فيها الخسارة والربح، بينما نفي الربح لا يعطي فرصة للكسب أو الربح؛ لأن الله ختم على قلوبهم وأضل أعمالهم، وما كانوا مهتدين[١].

التتميم في الآية: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، والمتأمل في هذا النص القرآني المبارك يجد أن قوله –تعالى – ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ تتميم جيء به للمبالغة في ضلالهم ، وعدم اهتدائهم ؛ فإنه – سبحانه – لما ذكر شراء شيء بشيء، توهم أن هذا الذي فعلوه من باب التجارة، فجاء بهذه الجملة تتميماً لدفع هذا التوهم ؛ حتى لا يظن ظان أن هذا الشراء الذي وقع هو تجارة، فأخبر أنه ليس بتجارة ، وإذا لم يكن تجارة انتفى الربح فكأنه قال: فلا تجارة لهم ولا ربح، فلما ذكر –سبحانه– الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه، تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته[٢].

ولو فرضنا جدلاً حذف التتميم من الآية الكريمة تكون: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ .....﴾، فالآية بهذه الألفاظ ، وبعد حذف ألفاظ التتميم مقبولة ، لكنها موهمة في المعنى المراد منها، فقد يتوهم متوهم أن الذي فعله هؤلاء كان تجارة حقيقية ولكنهم خسروها فلم تربح ، وهذا المعنى غير مراد فعقب– سبحانه وتعالى– بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لينفي أن يكون هناك تجارة من الأصل فليس هناك تجاره ولا ربح ، هذا المعنى لا يمكن تصوره إلا بعد إضافة ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الآية.

قال أبوحيان : هذا النوع من البيان يقال له التتميم، ومنه قول امرئ القيس :

---

(١) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية.لعلي صبح (٨٤/١).
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٧١/١).

(كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا ** وأرحلنا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ) [١].

فقوله : "**الَّذِي لَمْ يُثَقَّبِ** "، تتميم للمعنى ، وتكميل للوصف تم به جودة الكلام [٢].وسمى الله –تعالى– اعتياضهم الضلالة عن الهدى تجارة، وإن كانت التجارة هي البيع والشراء المتحقق منه الفائدة، أو المترجى ذلك منه، وهذا الاعتياض منفي عنه ذلك؛ لأن الكفر محبط للأعمال. كما قال– تعالى–: ﴿ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا﴾" [٣].

وفي الحديث، عَنْ عَائِشَةَ–رضي الله عنها– " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: " لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" [٤]، ولأنهم لم يعتاضوا ذلك إلا لما تحققوا وارتجوا من الفوائد الدنيوية والأخروية. ألا ترى إلى قولهم كما أخبر الله –تعالى– عنهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [٥]، وقولهم: ﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ﴾ [٦]، وكانت اليهود تزعم أنهم لا يعذبون ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾[٧] ، وبعضهم يقول يوماً واحداً، وبعضهم عشراً، وكل طائفة من الكفار تزعم أنها على الحق وأن غيرها على الباطل، فلحصول الراحة الدنيوية ورجاء الراحة الأخروية، سمى اشتراءهم الضلالة بالهدى تجارة، ونفى الله تعالى عنهم كونهم مهتدين[٨].

---

(١) ديوان امرىء القيس . (٢٣٦/١).
(٢) ينظر البحر المحيط ، لأبي حيان (١٢٠/١).
(٣) سورة الفرقان : الآية رقم (٢٣).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب :الإيمان – باب: باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل – حديث رقم (٢١٤) - (١٩٦/١).
(٥) سورة المائدة : الآية رقم (١٨).
(٦) سورة الشعراء الآية رقم (١٣٨).
(٧) سورة البقرة : الآية رقم (٨٠).
(٨) البحر المحيط لأبي حيان (١٢١/١،١٢٠).

وقال الزمخشري:"فإن قلت: فما معنى قوله – تعالى-: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[1]؟ قلت: معناه أنّ الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان : سلامة رأس المال، والربح. وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً؛ لأن رأس ما لهم كان هو الهدى، فلم يبق لهم مع الضلالة، وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة، لم يوصفوا بإصابة الربح ، وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية ؛ لأن الضال خاسر دامر؛ ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله: قد ربح، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر" [2]، فهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين؛ لأن رأس مَالِهم كان الفطرة السليمة، والعقل الصرف، فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم، واختل عقلهم ولم يبقَ لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق، ونيل الكمال، فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للأصل [3].

ومن هنا نجد أن – قوله – تعالى-:﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ قد جاء في التعبير القرآني لإفادة المبالغة في ضلالهم ، وأنه لم يكن هناك تجارة أصلًا حتى يكون هناك ربح ، هذا المعنى لا يمكن أن يتصور بدونها ، وحذفها يؤدى إلى نقص حسن المعنى المراد ، وهو المبالغة في ضلال هؤلاء القوم .

ومن شواهد هذا النوع –أيضاً– قوله – تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ

---

(١) سورة البقرة : الآية رقم (١٦).
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري(٧١/١)
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٤٩/١).وإرشاد العقل السليم ،لأبي السعود (٥٤/١)

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (١).

اللّه لا إله يعبد بحق في الوجود إلا هو ، إذ الإله الحق هو الذي يعبد بحق وهو واحد ، والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جدّا ، فاللّه منفرد بالألوهية موصوف بالحياة الأبدية ، واجب الوجود ، الحىّ الذي لا يموت ، القائم بذاته على تدبير خلقه ، المخالف لهم في كل صفاتهم مما يعترى الحوادث ، لا تغلبه ولا تستولى عليه سنة ولا نوم ، مالك الملك. (٢)

فالتتميم في هذه الآية المباركة في قوله- تعالى- : ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾.

فقد بين الله- سبحانه و تعالى- في هذه الآية المباركة مظهراً من مظاهر قدرته ووحدانيته يتجلى لنا واضحاً جلياً في أبهى صورة، وذلك من خلال التعبير بقوله- تعالى-: ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ بعد قوله- تعالى-: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ فقد جاء على طريق التتميم مبالغة في نفي هذه النواقص في حقه – تعالى- ، وهذا أبلغ لما فيه من التأكيد؛ إذ نفي- السِّنة- يقتضي نفي النوم ضمناً فإذا نفى ثانياً كان أبلغ(٣).

وفي حال حذف التتميم من الآية الكريمة يؤدى إلى وهم في المعنى ، ولا يؤدى المعنى المراد منه في حال وجوده فإذا تصورنا جدلاً حذف التتميم من الآية تصير:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ ..... لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ

(١) سورة البقرة : الآية رقم ( )
(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (١٤٧/١).
(٣) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي(٣٣٣/٢)، وتفسير روح المعانى (١٠/٢).

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

ومن خلال هذا النص نرى أن معنى الآية لا يقطع بنفى ما هو أشد من السنه ، وهو النوم ففي هذا الحال قد يظن ظان أن الله – سبحانه وتعالى– لا تأخذه السِنَه وهى : مقدمات النوم ، وإنما من الممكن أن يغلبه النوم غلباً بدون مقدمات، فأراد الله القدير أن يقطع هذا الوهم ويرفع هذا الظن ، ويبرىء ساحته مما قد يعترية من شك بعض الجهال ، فنفى عن نفسه– تعالى– مقدمات النوم والنوم أصلاً ، فجاء كلامة –تعالى– على أبلغ وجه وأتمه؛ إذاً قد أفاد التتميم بنفي النوم معنى لم يفده نفي السِّنة فقط فأزال الوهم ورفع اللَّبس.

فالسِّنة: ما يتقدّم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس.(١)

قال ابن الرقاع العاملي .

(وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ * فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ)** (٢).

فقوله: "ليس بنائمٍ" يدلّ على أنّ السِّنة ما يتقدم النوم.

ومنه حديث موسى –عليه السلام– : أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟ فأوحى اللَّه إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام، ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوءتين. فأخذهما، وألقى اللَّه عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لهؤلاء إنى أمسك السموات والأرض بقدرتي، فلو أخذنى نوم أو نعاس لزالتا(٣)، أى: لا يأخذه نعاس ولا نوم ، وجملة ﴿ **لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** ﴾ ،

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (٣٠٠/١).

(٢) ديوان عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي (٥٥/١).

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسير عن ابن عباس أثر رقم (٥٧٧٩)(٣٩٣/٥) ،وابن أبى حاتم فى تفسيره عن ابن عباس أثر رقم (٢٥٨٤) .

نفي للتشبيه بينه وبين خلقه ، وتأكيد لكونه حياً قيوماً؛ فإن من أخذه نعاس أو نوم كان بآفة تخلّ بالحياة قاصراً في الحفظ

والتدبير، ولذلك ترك العاطف فيه[١].

وقد ورد بأنه إنما هو على أسلوب الإحاطة والإحصاء ، وهو متعين فيه مراعاة الترتيب الوجودي والابتداء من الأخف فالأخف ، كما في قوله – تعالى– : ﴿تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا﴾[٢]، ولهذا توسطت كلمة "لا" تنصيصاً على الإحاطة وشمول النفي لكل منهما، وقيل: إن تأخير النوم رعاية للفواصل، ولا يخفى أنه من ضيق العطن.

قال بعض المحققين:" هذا كله إنما يحتاج إليه إذا أخذ الأخذ بمعنى: العروض والاعتراء، وأما لو أخذ بمعنى القهر والغلبة– كما ذكره الراغب وغيره من أئمة اللغة–، ومنه قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[٣]، فالترتيب على مقتضى الظاهر إذ يكون المعنى: لا تغلبه السنة، ولا النوم الذي هو أكثر غلبة منها، كما لو قيل: فلان لا يغلبه أمير ولا سلطان"[٤].

ومن سياقاته – أيضاً– قوله – تعالى– : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٥].

جمعت هذه الآية تمجيد الله، وتهديده، وتحذيره من مخالفة أمره، وتقريره للإيمان بيوم البعث، ورده لإشراك بعض المنافقين وإنكارهم البعث، ولا شك أن ذلك يدفع المسلم إلى العمل والامتثال لأمر اللّه فهو جامع الناس ليوم القيامة؛ ليأخذ كلّ جزاءه فلينظر الإنسان ما قدم ، وليحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ومن أصدق من اللّه حديثا ، فكلامه – سبحانه – كلام عالم

(١) تفسير السراج المنير (١٦٨/١).
(٢) سورة الكهف : الآية رقم (٤٩).
(٣) سورة القمر : الآية رقم (٤٢).
(٤) تفسير روح المعاني، للآلوسي (١٠/٢).
(٥) سورة النساء : الآية رقم (٨٧).

الغيب والشهادة الذي لا يضل ولا ينسى، وهو القوى القادر فكيف لا يكون صادقا في وعده. [١]

التتميم في هذه الآية في قوله –تعالى–:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾. فقوله– تعالى–: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ قد وردت تتميمًا على سبيل المبالغة لإنكار أن يكون أحد أصدقَ منه– تعالى– في وعده وسائر أخبارِه ، وبيانٌ لاستحالته ، كيف لا والكذِبُ مُحالٌ عليه –سبحانه– دون غيرِه[٢]، والمعنى: لا أحد أصدق من الله ، وذلك من باب تتميم المبالغة.

وقلنا بأن هذه الجملة وردت تتميما ؛ لأننا لو تأملنا الآية بعد حذف عبارة التتميم تكون:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۗ ..... فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾.

فالله– سبحانه وتعالى– أخبر في أول الآية المباركة أنه جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، وأنه يبعث الناس من قبورهم ويحشرهم إلى الحساب يوم القيامة في صعيد واحد ، فيجازى كل عامل بعمله ، وأخبر– سبحانه وتعالى– بأن هذا اليوم لا ريب فيه ولا شك مصداقًا لقوله –تعالى–: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا** ﴾ [٣]؛ أى: لا رَيْبَ فِيهِ ؛أي: لا شك في يوم القيامة، أو في الجمع ، فتمم – سبحانه وتعالى– الآية التي نحن بصددها بقوله: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ إنكارًا لأن يكون أحد أصدق منه –تعالى– في حديثه، وخبره، ووعده، ووعيده، وبيان لاستحالته؛ لأنه نقص وقبيح؛ إذ من كذب، لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يجر منفعة بكذبه ، أو يدفع

---

(١) التفسير الواضح (٤٠٨/١).
(٢) تفسير إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود (٢١٢/٢) وتفسير أنوارالتنزيل ، للبيضاوي (٨٨/٢).
(٣) سورة المطففين الآية رقم (٦).

مضرة، أو هو جاهل بقبحه، أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في أخباره، ولا يبالي بأيهما نطق. فظهر استحالة الكذب عليه- جل شأنه-. والغير، وإن دلت الدلائل على صدقه، فكذبه ممكن إذا لم ينظر إليها.[١]

قال ابن عطية: " قوله- تعالى- :﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ظاهره الاستفهام ومعناه تقرير الخبر، تقديره:لا أحد أصدق من الله -تعالى- ؛ لأن دخول الكذب في حديث البشر إنما علته الخوف والرجاء ، أو سوء السجية، وهذه منفية في حق الله- تعالى- وتقدست أسماؤه، والصدق في حقيقته أن يكون ما يجري على لسان المخبر موافقاً لما في قلبه، وللأمر المخبر عنه في وجوده"[٢].

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن-الكريم- ماذكره الله -تعالى- في وصف حال الكافرين يوم القيامة وما يلاقون فيها من أصناف العذاب في قوله – تعالى-: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٣].

تصور لنا هذه الآيات مشهد الخيبة لكل جبار. فيقف في هذا الموقف، ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها، وهو يُسقى من الصديد السائل من الجسوم. يُسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه[٤]، لقذارته ومرارته، والتقزز والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات!

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٣/٢٤٩).
(٢) المحرر الوجيز لابن عطيه (٢/٨٨).
(٣) سورة إبراهيم:الآية رقم (١٧).
(٤) ساغَ الشرابُ فِي الحَلْقِ يَسُوغُ سَوْغاً وسَواغاً: سَهُلَ مَدْخَلهُ فِي الحلقِ، ساغ الشَّرابَ: وجده سائغًا، ابتلعه واستمرأه، استطابه.ينظر: لسان العرب لابن منظور (مادة :سوغ) (٨/٤٣٥)، وتاج العروس (مادة :ساغ) (٢٢/٥٠٧)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتو: أحمد مختار(مادة:سوغ) (٢/١١٣٥).

ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان، ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه. ومن ورائه عذاب غليظ. (١)

فقوله- تعالى-: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تتميم أفاد المبالغة في الكراهية الشديدة، للدلالة على عدم الإساغة ، وطول العذاب بالحرارة والعطش.

فقد قال – تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ ، والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار ، ولو قال: "جرعه" لما أفاد المعنى الذي أراده ؛ لأن جرع الماء لا يشير إلى معنى الكراهية، ولكنه عند ما أتى بالتاء على صيغة التفعل أفهم أنه يتكلف شربه تكلفاً، وأنه يعاني من جراء شربه مالا يأتي الوصف عليه من تقزز وكراهية، ثم احتاط للأمر؛ لأنه قد يوهم بأنه تكلف شربه ،ثم هان عليه الأمر بعد ذلك، فأتى بالكيدودة ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ ؛ أي: أنه تكلف شربه، وهو لا يكاد يشربه، ولواكتفى بالكيدودة ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ لصلح المعنى دون مبالغة، ولكن عند ما جاءت ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أفهم أنه لا يسيغه بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي، جرعة غب جرعة، فيطول عذابه تارة بالحرارة ، وتارة بالعطش(٢).

وعلى هذا فلو فرض حذف عبارة التتميم من الآية تكون :

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ..... لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

فالملاحظ على هذا النص بعد حذف عبارة التتميم أن المعنى الذي يراد تصويره غير تام ؛ لأنه ربما أوهم أن هذا المعذب بهذا النوع من العذاب عندما يسقى ماء الصديد فإنه يبلعه ويسيغه بلا عناء ومشقه ، وهذا غير

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٠٩٣/٤)
(٢) الجدول فى اعراب القرآن(١٧٢/١٣).

مراد ، فالإزالة هذا الوهم واللَّبس تمم الله –سبحانه وتعالى– التجرع بقوله : ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ تتميمًا على سبيل المبالغة في العذاب للدلالة على صعوبة الأمر ومشقته، فتجرعه في نفسه مشقه حتى وإن استطاع التجرع فلا يستطيع البلع والاستساغة إلا بمشقة مرة بعد مرة مما يدل على طول مدة العذاب وفي هذا النظم الكريم من التحقير من شأن الكافرين والتهوين من أمرهم.

فقد قيل: يتجرعه يقرب إليه فيتكرهه ، فإذا أدنى منه شوي وجهه ووقعت فروة رأسه ، وإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره [١] ، فهم يطلبون الماء فيجابون، ولكن ﴿ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [٢]، ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ﴾[٣] ، فإذا استسقوا جاءهم ماء، هو صديد يجتمع فيه قبح ذاته وحرارته، وأنه يقطع الأمعاء، ولكنهم مع ذلك يشربونه ؛ لأنهم عدموا الري، فلا ري سواه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ؛ أي: يحاول شربه بأن يتجرعه جرعة جرعة ولا يطيق أن يشربه شرباً مع رغبته في الماء، أو نقول: أساغه حاول أن يجعله يمر في الحلق سائغاً، ولا يكاد يستطيع ذلك، فقد اجتمع فيه ما ذكرنا من قبح الذات ، والمنظر، والحرارة ، وشأنه ليس بمرىء [٤]، فهو يُسقى من الصديد السائل

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره (٥٤٩/١٦)، ورواه الترمذي في السنن برقم(٢٥٨٣) من طريق عبد الله بن المبارك به، وقال:هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولانعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث"، وقال بن كثير تعليقاً عليه :هكذا رواه ابن جرير، من حديث عبد الله بن المبارك، به ورواه هو وابن أبي حاتم: من حديث بقية ابن الوليد، عن صفوان بن عمرو به،ورواه الطبري في تفسيره (٥٥١/١٦) من طريق حيوة بن شريح عن بقية به

(٢) سورة محمد : الآية (١٥).

(٣) سورة الكهف : الآية (٢٩).

(٤) إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش( )

من الجسوم، يُسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، ولا يكاد يسيغه، لقذارته ومرارته، والتقزز والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات. (١)

ومن المواطن الأخرى لهذا النوع قوله –تعالى-: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ (٢)

تعرض لنا هذه الآية الكريمة صورة جنتان مثمرتان من العنب، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر إنه المنظر البهيج ،والحيوية الدافقة، والمتاع والمال فكلتا الجنين تثمر كل عام ، وتؤتي أكلها وافياً غير منقوص مخالفة بذلك غيرها من الجنان التي تثمر عاماً وتنقص أخرى ، ويختار االنص القرآني اللتعبير بكلمة ﴿وَمَا﴾ في معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر. (٣)

فالتتميم في هذه الآية الكريمة هو قوله –تعالى-:﴿لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ﴾ فقد ورد تتميماً للمبالغة في وصف إثمار الجنتين ، وأنهما تؤتي أكلهما كل عام وافياً كاملاً، وقد يتوهم متوهم أن قوله –تعالى-: ﴿**لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ**﴾ مستغنى عنه؛ لأنه مجرد تأكيد؛ لأن معنى الإضافة في قوله– تعالى-: ﴿**ٱلَّذِي هَدَىٰنَا**﴾ تقتضي بها ؛ أي : لم تنقص من أكلها شيئاً في بعض السنين بل في كل سنة تأتي ثمرها وافياً ، وهذا غير المعنى الذي أفادة التتميم من المبالغة في اثمارها وإيتاء أكلها، لأنه لما كان ما يعهد من سائر البساتين، أن ثمارها تتم في عام وتنقص في عام غالباً **جاء- سبحانه**

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ٢٠٩٤).
(٢) سورة الكهف : الآية رقم (٣٣).
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/٢٢٧٠).

وتعالى- بهذا التعبير ﴿لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ﴾ تتميماً على سبيل المبالغة للتنويه بأمر الجنتين ؛ وأنهما ليسا كسائر الجنان ينقص ثمرها عاماً ويتم عام ، بل هاتان الجنتان تؤتي ثمارها كل عام تامة غير منقوصة مخالفة بذلك شأن غيرها من مثيلاتها فكان التتميم هنا مبالغة في وصف ثمارهما؛ بأنهما على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين فإنها في الغالب تكثر في عام وتقل في عام، قال ابن عباس: لم ينقص كل شجر الجنة أطعمة. (١)(٢).

ولو حذفنا عبارة التتميم في الآية المباركة لفسد هذا المعنى ، ونقص حسن معناه ونكون الآية بعد حذف عبارة التتميم :﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا ..... أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

فلو تأملنا سياق هذه الآية لوجدناها ، غير تامة ، موهمة المعنى ، فما الفائدة في التعبير بأنها أتت أكلها فهذا المعهود من كل الجنان بأنها تثمر كل عام ، وقد ورددت هذه الآية في معرض المنة على صاحب الجنتين ، وأنه ورد مثلاً للكافر المتعالي الذي يعصي الله مع تقلبه في النعيم، فهو غارق في الدنيا معتز بها ومغرور بها ، وقد أعطاه الله آية يعتبر بها وهي الجنتين، وجعلها مخالفة لغيرها من بني جنسها فتوتي ثمارها كل عام تامة . متميزة بذلك عن غيرها من الجنان الأخرى ، وهو مع هذا النعيم لايرى إلا نفسه فقد نسى من أنعم عليه بتلك النعمة وجحد خالقه ؛ لذا نجد أن التعبير بقوله –تعالى–: ﴿لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ﴾ قد جاء تتميماً لرفع الوهم واللَّبس ، من أنهما جنتان كسائر الجنان فما المزية فيهما على غيرهما ، فتمم –تعالى– بهذا التعبير لتميزها عن غيرها في الإثمار ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره أثر رقم (١٢٨٠٤) - (٢٣٦١/٧).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٢٨٠/٣)، ومدارك التأويل للنسفي (٣٠٠/٢) البحر المديد لابن عجيبه (٢٧٠/٣)، وفتح القدير للشوكاني (٤١٢/٢).

وهذا المعنى لا يتم تصوره بغير هذه العبارة ؛ لذا نجد أن النص القرآني قد أفاد من المبالغة بوجود هذا التتميم ما لا يفيده إذا حذف، فقد أعطى النص متانة وبلاغة ربانية.

ومن وجوه البلاغة الآخرى في الآية والتي أضفت طابعاً مميزاً عليها: استعارة الظلم للنقص على طريقة التمثيلية بتشبيه هيئة صاحب الجنتين في إتقان خبرهما وترقب إثمارهما بهيئة من صار له حق في وفرة غلتها، بحيث إذا لم تأت الجنتان بما هو مترقب منهما أشبهتا من حرم ذا حق حقه فظلمه، فاستعير الظلم لإقلال الإغلال، واستعير نفيه للوفاء بحق الإثمار [١] [٢].

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع والتي ورد فيها نفي النصرة عن الكافرين قوله –تعالى–:﴿ِلِّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا ﴾[٣].

تتحدث هذه الآية عن حال صاحب الجنتين الذي كفر وتمادى ، وغره بالله الغرور، فقال ما أظن أن تبيد هذه الجنة أبداً ، وهذه المقالة لا تصدر إلا من جاهل، فاعتقد أنه الزارع الذي أعطي هذا الزرع عن علم وتجربة ، وأن سماده ونظامه هما اللذان أنتجا، فأرسل الله –سبحانه وتعالى– عذاباً مقدراً في علمه –تعالى – فأصبحت الأرض قاحلة ، وأصبحت الجنة خاوية على عروشها فسقطت الكروم عن العروش الممهدة لها ، وبات نادماً على إشراكه بالله ، فلم تكن له فئة تنصره من دون اللّه ؛ إذ هو القادر وحده على دفع العذاب ، وما كان هو في حد ذاته منتصراً بنفسه. [٤]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره أثر رقم (١٢٨٠٤) - (٢٣٦١/٧).
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١٨/١٥).
(٣) سورة الكهف الآية رقم (٤٣).
(٤) التفسير الواضح (٤١٥/٢) ملخصاً.

فالتتميم في هذه الآية الكريمة ورد في قوله –تعالى– : ﴿**لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا**﴾ ؛لأن ما قبله إعلام بأن المتحدث عنه مقطوع عنه سبب النصر من خارج نفسه، وهذا لا يمنع أن يكون هو قادراً على نصر نفسه ، فلما قال : ﴿**لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا**﴾ تم المعنى المراد من جهتين :

الأولى: نفي نصر الأعوان. **الثانية: نفي نصر نفسه.**

إذاً فلا هو منصورًا بأعوانه ، ولا منصوراً بنفسه ؛ فالآية بهذا التتميم نفت النصرة عنه قطعاً سواء كان له أعوان ، أو لم يكن.

قال الزجاج: وما كان هو– أيضًا – قادر على نصرة نفسه، فلما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله لصاحبه: ﴿**أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[1]، فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئاً، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفسه منتصرًا، وكيف ينتصر؛ أي: يكون له أنصارًا على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه، لم يقدروا؟ [2] ، فأنتج هذا المثل قطعا أنه لا لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم ، ولإغنائهم بعد فقرهم ،ولإذلال أعدائه بعد عزهم وكبرهم وإفقارهم بعد إغنائهم وجبرهم ، وأن غيره إنما هو كالخيال لا حقيقة له ، وهنا يتفرد الله بالولاية والقدرة: فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره.[3]

وعلى هذا فيكون نظم الآية لو حذف منها عبارة التتميم: ﴿**وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾ ..... **هنالك الولاية لله الحق**﴾

---

(١) سورة الكهف : الآية (٣٤).
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤٧٧/١).
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٢٧١/٤).

فالآية بهذا المعنى تنفي عن هذا الكافر النصرة من الأعوان فقط، سواء كانوا أصحابه أو عشيرته ، لكنها لاتنفي أن يكون هو بذاته له قوة تمنعه ، فقد يتوهم متوهم أنه لقوته وشدته لا يحتاج لمن يدفع عنه عذاب الله –تعالى– ؛إذ هو قادر على دفع العذاب بغير نصرة ، فلدفع هذا التوهم واللَّبس في المعنى تتم الله – تعالى– الآية بقوله" ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا﴾ مبالغة في نفي النصرة عنه من كل جانب من أعوانه ومن نفسه، فجاءت الآية بهذا النوع من الإطناب لإفادة المبالغة في الوصف، فأعطت النظم جزالة في اللفظ ورصانة في الأسلوب، هذا المعنى لم يفهم المراد منه إلا بوجد عبارة التتميم ، فالتتميم أضاف للمعنى حسن، ورفع عنه الوهم ، وقربه إلى الفهم ، فمعنى قوله: ﴿هَدَىٰنَا﴾ ؛ أي: ممتنعًا بقوته عن إهلاك الله لجنته وانتقامه منه ، وقادرًا على واحد من هذه الأمور.(١)

ومن أبرز المواضع التي يظهر فيها هذا النوع من تتميم المبالغة ما ورد في سياق وصف أعمال الكافرين وعدم الإنتفاع بها في الآخرة ، قال – تعالى–: ﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا﴾(٢).

التتميم في هذه الآية الكريمة قوله –تعالى-: ﴿لَّا﴾ .

فقد وصف الله – سبحانه وتعالى – أعمال الكافرين في الآخرة بوصفين لا يغني ذكر أحدهما عن ذكر الأخر ، فوصفه أولاً بـ: ﴿وَلَٰكِن﴾ وهو: ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار. فشبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا ينتفع به، ووصفه ثانياً بـ ﴿لَّا﴾ تتميماً على سبيل المبالغة في الحقارة والقلة ، وأنه لايزن عند الله شيئاً ، فجيء بـ ﴿لَّا﴾

---

(١) الكشاف للزمخشري(٦٧٦/٢)،ومدارك التنزيل للنسفي(٢١١/٣)، وأنوارلتنزيل للبيضاوي (٣٩٩/٣)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (٥٧/٨).

(٢) سورة الفرقان:الآية رقم (٢٣).

لأنك ترى الهباء منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب، وذلك كقوله- تعالى-: ﴿مِّن جَهَنَّمَ﴾[١] ، فلم يكتف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفاً بالأكال، ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثراً[٢].

قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي:" و﴿لَّا﴾ تتميم ؛ إذ لم يكتف بجعله في تفرّقه كالهباء حتى جعله منثوراً فجعلها جامعة لحقارة الهباء وتناثره ، كقول الخنساء ترثي أخاها:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ " [٣][٤].

فالنص القرآني مثل حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف ، وقرى ضيف ، ونحو ذلك . بحال من خالف سلطانه وعصاه، فقدم إلى أشيائه، وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ،ولم يترك لها أثر، فالله- سبحانه وتعالى- أبطل هذه الأعمال، وجعلها بحيث لايمكن الانتفاع بها ، كالهباء المنثور ،الذي لا يمكن أن تقبض عليه. [٥]

فقد كانوا في الجاهلية يعدون الأعمال الصالحة مجلبة لخير الدنيا؛ لأنها ترضي الله -تعالى- فيجازيهم بنعم في الدنيا؛ إذ كانوا لا يؤمنون بالبعث، وقد قالت خديجة للنبي- صلى الله عليه وسلم- حين تحير في أمر ما بدا له من الوحي وقال لها: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ،

---

(١) سورة الفيل:الآية رقم(٥).
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري(٢٧٤/٢).
(٣) ديوان الخنساء (٢٢٦/١).
(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤١٨/٦).
(٥) تفسير مفاتح الغيب ، للرازي (٤٥١/٢٤)، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،للنسفي (٥٢٣/٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطيه (٢٠٧/٤).

وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"[١]،وفي الحديث "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".[٢] فالظاهر أن المشركين إذا سمعوا آيات الوعيد يقولون في أنفسهم: لئن كان البعث حقاً لنجدن أعمالاً عملناها من البر تكون سبباً لنجاتنا، فعلم الله ما في نفوسهم فأخبر بأن أعمالهم تكون كالعدم يومئذ. [٣]

وهذه الآية وإن كانت واردة في وصف حال االمشركين إلا أنه قد جاء في الحديث أن من المؤمنين من يجعل عمله هباء، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُجَاءَنَّ بِأَقْوَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مِثْلُ جِبَالِ تِهَامَةَ، حَتَّى إِذَا جِيءَ بِهِمْ جَعَلَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ هَبَاءً، ثُمَّ قَذَفَهُمْ فِي النَّارِ»، فَقَالَ سَالِمٌ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي حَلِّ لَنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ حَتَّى نَعْرِفَهُمْ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «يَا سَالِمُ أَمَا إِنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَامِ وَثَبُوا عَلَيْهِ، فَأَدْحَضَ اللهُ- تَعَالَى- أَعْمَالَهُمْ". [٤]

ويصور لنا هذا المعنى صاحب (الظلال) فيقول: هكذا في لحظة، والخيال يتبع حركة القدوم المجسمة المتخيلة- على طريقة القرآن في التجسيم والتخييل – وعملية الإثارة للأعمال، والتذرية في الهواء فإذا كل ما عملوا في الدنيا من عمل صالح هباء. ذلك أنه لم يقم على الإيمان، الذي يصل القلب بالله، والذي يجعل العمل الصالح منهجاً مرسوماً وأصلاً قاصداً، لا خبط عشواء، ولا نزوة طارئة، ولا حركة مبتورة لا قصد لها ولا غاية،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب:بدء الوحي- باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (٣) - (٧/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب:الإعتصام بالكتاب والسنة – باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود حديث رقم (٧٣٤٩) (١٠٧/٩).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/١٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية –باب: سالم مولى بن حذيفة (١٧٧/١). وابن بشرآن في أمالية – المجلس الثامن والستون والستمائة – حديث رقم (٤٨٠) - (٢٧٠/١).

فلا قيمة لعمل مفرد لا يتصل بمنهج، ولا فائدة لحركة مفردة ليست حلقة من سلسلة ذات هدف معلوم.

إن وجود الإنسان وحياته وعمله في نظرة الإسلام موصولة كلها بأصل هذا الكون، وبالناموس الذي يحكمه، والذي يصله كله بالله. بما فيه الإنسان وما يصدر عنه من نشاط. فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون، فإنه يصبح ضائعاً لا وزن له ولا قيمة، ولا تقدير لعمله ولا حساب. بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء، والإيمان هو الذي يصل الإنسان بربه فيجعل لعمله قيمة ووزناً، ويجعل له مكانه في حساب هذا الكون وبنائه. وهكذا تعدم أعمال أولئك المشركين. تعدم إعداماً يصوره التعبير القرآني تلك الصورة الحسية المتخيلة: ﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا﴾[1].

ومن المواضع التي ذكر فيها هذا النوع من التتميم ، قوله –تعالى– : ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[2].

اجتمع في هذه الآية الكريمة التتميم في موضعين .

الأول: التتميم بـ ﴿كُلٍّ﴾ في قوله – تعالى– :﴿ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ﴾

فكان يكفي أن يقال :"**كم أنبتنا فيها من زوج** " لكن بالتأمل نرى أن كلمة ﴿كُلٍّ﴾ لا يمكن طرحها ، أوالاستغناء عنها ؛ لأنها دخلت للإحاطة بأزواج النبات، فلو أسقطنا كلمة ﴿كُلٍّ﴾، وقلنا: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ.....كُنتُمْ﴾ ؛أي: انظروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من الصنف الفلاني ، لكنا مكنيين عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه ؛ فإذا دخلت ﴿كُلٍّ

(١) في ظلال القرآن ، لسيد قطب (٢٥٥٨/٥).
(٢) سورة الشعراء : الآية رقم (٧).

﴾ فقد كررنا آحاد كل صنف لا آحاد صنف بعينه، وذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها .[١]

قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الجمع بين كم وكل، ولو قيل: " كم أنبتنا فيها من زوج كريم" كان مستقيماً ؟ قلت: قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة[٢]، فكُلٌّ لإحاطة الأزواج وكَمْ لكثرتها.[٣]

الموضع الآخر : التتميم بقوله – تعالى-: ﴿تَكْسِبُونَ﴾.

قال الرازي: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ.....كُنتُمْ.....﴾، الزوج هو الصنف من النبات، والكريم: صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال وجه كريم :إذا كان مرضياً في حسنه وجماله. وكتاب كريم: إذا كان مرضياً في فوائده ومعانيه، والنبات الكريم هو: المرضي فيما يتعلق به من المنافع.

فتمم وصف الزوج بالـ ﴿تَكْسِبُونَ﴾ لأمرين:

أحدهما: أن النبات–كما هو معلوم– على نوعين نافع وضار، فدل بكلمة ﴿تَكْسِبُونَ﴾ أنه يقصد النوع النافع، فذكر– سبحانه – كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وترك ذكر الضار.

والآخر: أنه يعم جميع النبات نافعه وضاره ووصفهما جميعاً بالكرم، ونبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة، وإن خفيت عليكم أسرارها،

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٥٥٥/٢)،والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٢/٨)،وإعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش(٥٦/٧).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٣٠٦/٣).

(٣) تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي(١٣٤/٤).

وصعب عليكم اكتناهها ، و غفل عنها الغافلون، ولكن الله–تعالى– عالم بما تجهلون.(١)

ومن أبرز المواضع التي نلمس فيه هذا النوع من تتميم المبالغة ماجاء في سياق وصية لقمان الحكيم–عليه السلام– لابنه، كما أخبر بها – سبحانه وتعالى– في قوله – تعالى–:﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٢).

التتميم في الآية قوله –تعالى–:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾

فقوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ تتميم جيء به مبالغة في التنبيه على إحاطة علم الله – تعالى – بكل شيء، فالله –سبحانه وتعالى– تتم خفاء الهنة أو الخطئية في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، والأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة ، أو في الأعالي من أجواز الفضاء ، ومعنى الكلام :المبالغة والانتهاء في التفهيم، فقدرة الله –تعالى– تنال ما يكون في أقصى غايات الصغر والقماءة في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة ، أو حيث كانت في العالم العلوي، أو السفلي.(٣)

قال القاسمي:" قوله – تعالى –: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ﴾ ، من البديع الذي يسمى التتميم ؛ فإنه تتم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة ، وهو من وادي قولها : **كأنه علم في رأسه نار**"(٤)، فخفاء الشيء

---

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي(١٠٤/٢٤)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٣٥/٦).
(٢) سورة لقمان:الآية رقم (١٦).
(٣) تفسيرالجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، و إرشاد العقل السليم (٧٢/٧)، و الجدول في إعراب القرآن وصرفه (٨٦/٢١) ، وإعراب القرآن وبيانه ، لمحي الدين درويش (٥٤٤/٧).
(٤) محاسن التأويل، للقاسمي (٣١/٨). والتفسير المنير ، للزحيلي (١٤٢/٢١).

يكون بطرق منها أن يكون في غاية الصغر ، ومنها أن يكون بعيداً، ومنها أن يكون في ظلمة ، ومنها أن يكون من وراء حجاب؛ فإن انتفت الأمور بأسرها بأن يكون كبيراً قريباً في ضوء من غير حجاب فلا يخفى في العبادة، فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط، فقوله –تعالى–: ﴿فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾ إشارة إلى الصغر ، وقوله–تعالى–: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ إشارة إلى الحجاب ، وقوله–تعالى–: ﴿الصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ﴾ إشارة إلى البعد، فإنها أبعد الأبعاد، وقوله–تعالى–: ﴿نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ إشارة إلى الظلمات، فإن جوف الأرض أظلم الأماكن، وقوله–تعالى– : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أبلغ من قول القائل يعلمها الله ؛ لأن من يظهر له الشيء ،ولا يقدر على إظهاره لغيره، يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره لغيره فقوله–تعالى–: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ؛أي: يظهرها الله للإشهاد ، وقوله –تعالى–: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ؛أي: نافذ القدرة ﴿﴿٤٢﴾﴾ ؛ أي :عالم ببواطن الأمور[1]

فهذا التعبير القرآني صور لنا تصويراً مؤثراً إحاطة علم الله بكل شيء، فلا يغيب عنه موضع ذرّة بين طيات صخرة ، أو في طبقات السموات، أو في أعماق الأرض، ويعلم الله الغيب، ومن ذلك ما يرونه بأعينهم في كل يوم من أمور غيبيّة، يدركون أنها مستورة عليهم، مع قرب بعضها منهم، إذ يقول –تعالى–: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُو۟رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ﴾ [2]، وقوله –تعالى–: ﴿يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي(١٣٠/٢٥).
(٢) سورة لقمان:الآية رقم (٣٤).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾[١]، ونرى هذا التصوير الشامل لعلمه واضحاً جلياً في قوله- تعالى-:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، وهكذا يصور القرآن شمول علم الله تصويراً ملموساً محسوساً. [٣]

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من التتميم قوله -تعالى-:﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَنَزَعْنَا مَا﴾[٤]

لما تحدثت الآيات السابقة عن وصف حال الكافرين ، وأن الله – سبحانه وتعالى- يأمر بحشرهم في أزواج متشاكلة ، وأن يهدوهم إلى الجحيم تهكماً بهم ومبالغةً في تحقيرهم ؛ ذكر النوع الآخر المقابل لهؤلاء ، وهم عباد الله المخلصين فساق صوراً للنعيم الذي يتقلبون فيه.

ورد التتميم في هذه الآية في قوله تعالى-: ﴿وَنَزَعْنَا مَا﴾ .

فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، ثم تمم بقوله -تعالى-: ﴿وَنَزَعْنَا مَا﴾ تتميماً على سبيل المبالغة في وصف معاني النعيم التي ذكرها الله – تعالى- في معرض حديثه عن هؤلاء المؤمنين، فهم في الجنة مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم بها ، فهم مكرمون يعاملون بالحفاوة والبهجة ، فوسط- سبحانه وتعالى- في أثناء وصف ما أعد لهم من النعيم الجسماني أن لهم نعيم الكرامة وهو أهم ؛ لأن به انتعاش النفس مع ما في ذلك من خلوص النعمة ممن يكدرها ؛ وذلك لأن الإحسان قد يكون غير مقترن بمدح وتعظيم ولا بأذى وهو الغالب، وقد يكون مقترنا بأذى وذلك يكدر من صفوه،

---

(١) سورة طه : الآية رقم (٧).
(٢) سورة الأنعام: الآية رقم (٥٩).
(٣) من بلاغة القرآن الكريم .لأحمد أحمد عبد الله البيلي (٢٠٢/١).
(٤) سورة الصافات: الآيات رقم (٤١-٤٢).

قال- تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾[١]، فإذا كان الإحسان مع عبارات الكرامة وحسن التلقي فذلك الثواب. [٢]

قال ابن عطية قوله -تعالى-:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا ﴾ تتميم بليغ للنعيم ؛لأنه رب مرزوق غير مكرم، وذلك أعظم التنكيد فه ينالون الرزق ،وهم في موضع الاحتفاء والتكريم. [٣]

فلما كان أهل الجنة لا يأكلون تقوتاً واحتياجاً ، بل تنعماً والتذاذاً وابتهاجاً؛ لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد ، فهي غير محتاجة إلى حفظ الصحة قال : ﴿ خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ؛أي: يتنعمون بها بما كدروا من عيشهم في الدنيا ، ولما كان الذي هو نعيم الجسم لا يحمد غاية الحمد، إلا ما العز الذي هو غذاء الروح، قال : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا ﴾ بناه للمفعول إشارة إلى أن وجود إكرامهم من كل شيء أمر حتم لا يكون غيره أصلاً . [٤]

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من التتميم قوله - تعالى-: ﴿ أُمَّةٌ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا ﴾[٥]

التتميم في هذه الآية هو قوله -تعالى-﴿ أُخۡتَهَاۖ ﴾

المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن قوله -تعالى- ﴿ أُخۡتَهَاۖ ﴾ تتميم مبالغة جيء به للتأكيد على حرصهم الشديد على إطعام الطعام، وإيثار الغير على النفس.

---

(١) سورة البقرة : الآيه رقم (٢٦٤).
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١١٢/٢٣).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٧١/٤).
(٤) نظم الدرر، للبقاعي (٣١٠/٦).
(٥) سورة الإنسان : الآيات (٨،٩).

ولو حذفنا من الآية عبارة التتميم تكون: ﴿أُمَّةٌ لَّعَنَتْ .....حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾

فقد يظن ظان أن قوله- تعالى -: ﴿أُخْتَهَا﴾ يمكن طرحها من الكلام، أو الاستغناء عنها فلا حاجة إلى ذكرها لدلالة ﴿أُمَّةٌ لَّعَنَتْ﴾ عليها، ولكن هذا غير مراد، فقد جيء بقوله: ﴿أُخْتَهَا﴾ لدفع التوهم واللَّبس من أن هؤلاء يطعمون الطعام وهم في غنى عنه ، فهم يتصدقون بالفضل الذي يزيد عن حاجتهم، ففي هذه الحالة لا يكون لهم من الفضل ما لهؤلاء المذكورين في الآية، فخص – تعالى- الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس ؛ثم تمم بقوله: ﴿أُخْتَهَا﴾ مبالغة في ذلك؛ فإنه لو قيل: ويطعمون مسكيناً ويتيماً وأسيراً لفات ما في قوله: ﴿أُخْتَهَا﴾ من معنى إيثار المحاويج على النفس، وقد أفاد ذكر الطعام بعد" يطعمون" تأكيداً عليه مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة.(١)

فقوله – تعالى – فى وصف الأبرار : ﴿أُخْتَهَا﴾ جاءَت تتميماً مفيداً حصلت به المبالغة في أنَّهم حريصون جدّاً على إطعام الطعام على الرغم من حبِّهِمْ له، وتعلُّقِ شَهْوَتِهم به، فالإطعام في هذه الحالة أبلغ في الدلالة على ابتغاء مرضاة الله، وهو بسبب ذلك أعظم أجراً عند الله.

وعلى ذلك فعبارة ﴿أُخْتَهَا﴾ قيد لازم لإدْخال المطعم للطعام في مرتبة الأبرار، وهي فوق مرتبة المتقين الذين يكفيهم أن يطعموا الطعام الواجب عليهم أن يُطْعِموه، ولو كان هذا الطعام غير محبوب لهم، فهو تتميم للمبالغة التى تعجز عنها قدرة المخلوقين(٢).

(١) التحرير والتنوير (٢٩/٢٨٤).
(٢) البلاغة العربية. لابن حنبكة (١/٨٨).

ومن أبرز المواضع التي جاء فيها هذا النوع من التتميم قال-تعالى -: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَٰنَهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [١].

التتميم في الآية في قوله -تعالى-: ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ولو حذفنا هذه العبارة من الآية تكون ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَٰنَهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ .....الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ﴾، فقوله – تعالى-: ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، جملة لا يمكن طرحها من الكلام ؛ لأنه لما قال : ﴿فَمَا كَانَ﴾، ساغ لمتوهم أن يتوهم أن هذا الطعام الذي ليس من جنس طعام البشر انتفت عنه صفة الإسمان ، ولكن بقيت له صفة الإغناء ، فجاءت جملة : ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ تتميماً للمعنى المراد ، وهو : أن هذا الطعام انتفت عنه صفة إفادة السمن والقوة ، كما انتفت عنه صفة إماطة الجوع وإزالته ؛ يعنى: أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل، وتتولع به إن كان أخضر ، و إذا يبس لا يرعاه ولا البهائم، وهذا النوع تنفر عنه ولا تقربه، فمنفعتا الغذاء منتفيتان عنه ، فقال: ﴿فَمَا كَانَ﴾ فلا ينفع الأبدان في ظاهرها ﴿لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ،فلا ينفعها في باطنها فهو لا خير فيه ليس فيه إلا الشوك، والتجرع العظيم، والمرارة، والرائحة المنتنة التي لا يستفيدون منها شيئاً، وهما إماطة الجوع، وإفادة القوة والسمن في البدن[٢].

وعلى ذلك فيكون في المعنى ثلاثة أوجه :

---

(١) سورة الغاشية : الآيات (٦،٧).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري(٤/٧٤٣)،ومدارك التنزيل للنسفي (٣/٦٣٤).

الأول: أن طعامهم ليس من جنس مطاعم الإنس، وذلك لأن هذا نوع من أنواع الشوك، والشوك مما يرعاه الإبل ،وهذا النوع مما ينفر عنه الإبل؛ فإذاً منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن.

الثاني: أن يكون المعنى لا طعام لهم أصلاً ؛ لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الإنس ؛لأن الطعام ما أشبع وأسمن وهو منهما بمعزل، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد.

الثالث: روي أن كفار قريش قالت: إن الضريع لتسمن عليه إبلنا، فنزلت ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ فلا يخلو، إما أن يتعنتوا بذلك الكلام كذباً فيرد قولهم: بنفي السمن والشبع ، وإما أن يصدقوا فيكون المعنى: أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم، إنما هو من ضريع غير مسمن، ولا مغن من جوع ، قال القاضي: يجب في كل طعامهم أن لا يغني من جوع؛ لأن ذلك نفع ورأفة، وذلك غير جائز في العقاب.(١)

وأيّاً ما كان فتنكير الجوع للتحقير ؛أي: لا يغني من جوع ما، وتأخير نفي الإغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوصل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين ؛إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه، ولذلك كرر" لا " لتأكيد النفي. (٢)

---

(١) تفسير مفاتح الغيب للرازي(١٤٠/٣١).
(٢) تفسير روح المعاني للآلوسي (٣٢٧/١٥).

المطلب الثاني

ضابط تتميم الاحتياط و نماذج تطبيقية لهذا النوه حسب ورودها في القرآن الكريم.

أولاً: ضابط تتميم الاحتياط.

يمكن ضبط هذا النوع بما يلي: بأن اللفظة التي جيء بها للتتميم تكون واردة على جهة الصيانة عن احتمال الخطأ فترد رافعة له [١]، أي: أن مجيئها يكون للاحتياط في وصف مفردة بعينها قد ذكرت في الآية بحيث لو نزعت هذه المفردة توهم الفساد في المعنى [٢].

ثانياً: نماذج تطبيقية لهذا النوع من التتميم حسب ورودها في القرآن الكريم. سأتناول عدداً من شواهد هذا النوع في القرآن الكريم بالتحليل والدراسة لبيان مواطن التتميم فيه ، وما أفاد من نكات بيلاغية وجمالية. خاصة وأن هذا النوع يزيد على المعنى روعة وجلالاً لما يضفيه على المعاني من خصوصية لا يتم المعنى المراد إلا بها.

ومن أبرز المواضع التي ورد فيها هذا النوع من التتميم قوله – تعالى–: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ﴾ [٣]

المتأمل في هذه الآية المباركة يجد أن الله –سبحانه وتعالى– وصف اللحم بالطري ، فى قوله– تعالى–: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فوصف

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي(٥٧/٣).
(٢) موقع ملتقي أهل التفسير على شبكة الإنترنت - vb.tafsir.net
(٣) سورة النحل: الآية رقم (١٤).

اللحم بالطراوة تتميم احتياط ، فالله –سبحانه– علم أنه إذا لم يصف اللحم بالطراوة لم يكن مظنة للفساد، ولكن المعروف أن الفساد إلى اللحم الطري أكثر من غيره، فلزم وصفه بها ليسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه [١].

ولوحذفنا لفظ التتميم من الآية تصير : -:﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ .....وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ﴾

فالآية بهذه الألفاظ مقبولة ، لكنها لم تفد ما أفادته من المعنى حال اشتمالها على لفظ التتميم "**طريا**"، فقد يتوهم متوهم أن اللحم الذي يخرج من البحر، وهو السمك يؤكل في أي وقت مثلة مثل باقي اللحوم، فلا داعي للسرعة والعجلة، وهذا غير مراد، فاحتاط الله –تعالى– في وصفه ليكون تاماً ، بقوله: "**طرياً**" إشارة إلى أن هذا النوع من اللحوم يباين غيره من أنواع اللحوم فهو وإن شاركها في التسمية، إلا أنه يتسارع إليه الفساد أكثر منها ،**أولاً**: لكونه خارجاً من الماء. **آخراً**: لطراوته، فيجب أن يتسارع إلى أكله حتى لا يفسد وتذهب منفعته ؛ إذاً قوله– تعالى–: "طرياً" احتاطت في وصف اللحم فأعطته صفة غير موجودة في أنواع اللحوم الأخرى ، فعلى هذا لا يمكن طرحها من الكلام، أو الاستغناء عنها لمَ يترتب على وجودها من إزالة الوهم واللَّبس.

قال البيضاوى: ووصفُه بالطراوة للإشعار بلطافته، والتنبيهِ على وجوب المسارعةِ إلى أكله كيلا يتسارع إليه الفسادُ ، ولإظهار قدرته في خلقه عذبا طرياً في ماء زعاق [٢].

---

(١) اعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (٢٨٠/٥).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري(٥٩٨/٢)،وأنوار التنزيل للبيضاوي(٣٢٩/٣). والبحرالمديد لابن عجيبة (١١٤/٣) ،وروح المعاني للآلوسي(٣٧٤/٧)،

ومن سياقاته – أيضاً- ماجاء في معرض تشريف النبي – صلى الله عليه وسلم- بالإسراء إلى المسجد الأقصى، وبيان معجزته في قوله- تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ﴾[1].

فالتتميم ورد في هذه الآية في قوله- تعالى- ﴿قَدْ﴾، فهذه اللفظة لا يمكن طرحها من الكلام، أو الاستغناء عنها ، فلو حذفنا لفظ التتميم من الآية تصير : ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ.....خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ فلفظ هذه الآية بعد الحذف مقبول ، لكن المعني الذي يريد الله –تعالى- إيصاله إلى أذهان المستمعين من المشركين وغيرهم غير تام ؛ لأنه قد يظن ظان أن الإسراء استغرق مدة كبيرة ، وهذا غير مراد، فعقب الله –تعالى – بكلمة ترفع اللبس والوهم عن هذا المعنى، فقال :﴿قَدْ﴾ ، فكلمة ﴿قَدْ﴾ في هذه الآية الكريمة تتميم احتياط، وذلك لأنّ الإسراء لا يكون إلاَّ باللَّيْل، **وفائدة هذا التتميم:** أنه جيء به للاحتياط في المراد بالليل إلي تخصيص جزء منه، والإشارة إلى قِصَرِ المدّةِ التي حصل فيها الإسراء ذهاباً وعودة، والإشارة-أيضاً- إلى أنّ لِلّيْلِ خصَائِصَ من نفحاتِ الله وإكراماته، التي يفيض بها على بعض عباده[2].

قال الزمخشرى: فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلت: أراد بقوله ﴿قَدْ﴾ بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية، ويشهد لذلك قراءة عبد الله ، وحذيفة: "من

---

(١) سورة الإسراء:الآية رقم (١).
(٢) البلاغة العربية (٨٨/٨٩/٢) بتصرف.

الليل"، أي: بعض الليل، كقوله –تعالى–: ﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ﴾ [١]، يعني: الأمر بالقيام في بعض الليل[٢].

وقد نقل عن سيبويه: أن الليل والنهار إذاعرّفا كانا معيارًا للتعميم، فلا تقول أرقت الليل، وأنت تريد ساعة منه، إلا أن تقصد المبالغة. بخلاف المنكر فإنه لا يفيد ذلك، فلما عدل عن تعريفه هنا، علم أنه لم يقصد استغراق السرى، وهذا هو المراد من البعضية[٣].

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من تتميم الاحتياط، وظهر فيها واضحاً جلياً قوله – تعالى في معرض أمره – تعالى– لنبيه – محمداً – صلى الله عليه وسلم أن يدعوا على قومه بأن يحكم الله بينه وبينهم بالحق : ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ﴾[٤].

ورد التتميم في هذه الآية في قوله –تعالى –: ﴿بِالْحَقِّ﴾ فلا يمكن طرحها من الكلام، أو الاستغناء عنها ؛ لأنه إذا حذفناها من الآية تصير: ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ .....تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ﴾ فالآية بهذا التركيب وإن كانت تامة اللفظ ، إلا أن المعنى قد نقص حسنه في ذاته وصفاته ، لأنه قد يتوهم متوهم أن الله –تعالى– لقوته وقدرته له أن يحكم بما شاء، ومن كان شأنه كذلك من الممكن أن يحكم بغير الحق؛ إذاً الإقتصار على قوله : ﴿صُدُورِهِم مِّنْ﴾ ليس كافياً في الوصف ويؤدى إلى الإيهام في المعنى ؛ لأن مطلق الحكم لا يوفي بالمقصود، لاشتماله على الحكم بالحق وبغير الحق ، فجيء بقوله –تعالى–:﴿بِالْحَقِّ﴾ تتميماً على

---

(١) سورة الإسراء:الآية رقم (٧٩).
(٢) تفسير الكشاف ، للزمخشرى(٦٤٦/٢،٦٤٧)، ومفاتيح الغيب ، للرازي(٢٩٢/٢٠).
(٣) تفسير محاسن التأويل، للقاسمى(٤٢٧/٦).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (١١٢).

سبيل الاحتياط ، فأُتِيَّ بهذه الزيادة للاحتياط في وصف الحكم ، و لدفع التوهم في أن الله – سبحانه – لايحكم بالحق ؛ لأنه لما كان للحاكم المختار الذي لاشريك له أن يحكم بالفضل، فينزل عن حق نفسه، وله أن يحكم بالعدل فيستوفي حقه وحق غيره فطلب مطلق الحكم لايوفي بذلك، جاء بقوله –تعالى– بالحق تتميماً للمعنى المراد. (١)

فالله – سبحانه وتعالى– علم بعلمه الأزلي أن الذين عادوا نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–لايرجى فلاحهم فأمره بالدعاء عليهم ، بيد أنه علَّمه كيف يدعوا عليهم دعاء غير منفر لغيرهم ، فأراد – سبحانه– أن يقول:" قل رب اهلك الظالمين" فعدل عن هذا اللفظ المنفر إلى قوله رب احكم بالحق ؛ فإنه –سبحانه– إذا حكم بالحق ، وهو العدل عاقب من يستحق العقاب.

قال ابن عطيه:" أمره –تعالى– أن يقول على جهة الدعاء عليهم رب احكم بالحق، والدعاء هنا بهذا فيه توعد ؛ أي: إن الحق إنما هو في نصرتي عليكم، وأمر الله –تعالى– له بهذا الدعاء دليل على الإجابة والعدة بها؛ أي: رب اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب، والتشديد عليهم ، فهو دعاء بالتعجيل والتشديد ، وإلا فكل قضائه تعالى عدل وحق، وقد استجيب ذلك حيث عذبوا ببدر؛ أيُّ: تعذيب" (٢).

وقد ختم الله هذه السورة بقوله –تعالى– : ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي﴾؛ لأنه –عليه السلام– كان قد بلغ في البيان لهم الغاية، وبلغوا النهاية في أذيته وتكذيبه، فكان قصارى أمره –تعالى– بذلك تسلية له ، وتعريفاً أن المقصود مصلحتهم.

فإذا أبوا إلا التمادي في كفرهم، فعليك بالانقطاع إلى ربك، ليحكم بينك وبينهم بالحق. إما بتعجيل العقاب بالجهاد أو بغيره، وإما بتأخير ذلك.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (٣٧٧/٦).

(٢) المحرر الوجيز (١٠٤/٤). ومفاتيح الغيب للرازي (١٢٩/٢٢).

فإن أمرهم، وإن تأخر فما هو كائن قريب. وما روي أنه عليه السلام كان يقول ذلك في حروبه، كالدلالة على أنه- تعالى -أمره أن يقول هذا القول، كالاستعجال للأمر بمجاهدتهم. (١)

ومن أبرز الأمثلة التي برز فيها هذا النوع من تتميم الاحتياط قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا﴾(٢).

التتميم في هذه الآية في قوله-تعالى-: ﴿فَضْلٍ فَذُوقُوا﴾

فقوله – تعالى-: ﴿**فَضْلٍ فَذُوقُوا**﴾ لا يمكن الاستغناء عنها ، ولو طرحت لاختل المعنى المراد في وصفهم بالإفساد المصمت ، الذي ليس معه أيُّ نوع من الإصلاح ، ولو حذفنا هذه العبارة من الآية تكون:

﴿وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن..... بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ﴾.

فالآية وإن كانت مقبولة من جهة اللفظ وتامة إلا أن معناها ناقصاً ؛ لأن قوله- تعالى-: ﴿**لَكُمْ عَلَيْنَا مِن**﴾ لايفيد المعنى التام الذي أفادته الزيادة بلفظ التتميم؛ إذْ قوله -تعالى- ﴿**لَكُمْ عَلَيْنَا مِن**﴾ لا يدفع أن يندر منهم ، أو من أحد منهم بعض الصلاح ، فجاء-سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿**فَضْلٍ فَذُوقُوا**﴾ تتميماً لدفع لتلك العذرة أن تقع، أو أن يخالج بعض الأذهان شك في أنها ستقع ؛ وبذلك قطع كل رجاء في إصلاح أمرهم وحسن حالهم، فإنهم يفسدون الفساد العظيم ، الذي لايخالطه شيء من الإصلاح، وقد كان هؤلاء الرهط عتاة غلاظاً، وهم الذين أشاروا بعقر الناقة لمراغمة صالح –

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٢٢٨/٧).
(٢) سورة النمل :الآية رقم (٤٨).

عليه السلام-، وإثارة حفيظته، ومنهم قدار بن سالف أحيمر ثمود المشهور بالشؤوم "[١].

ففي نظم الدرر: "أنه لما كان الكفرة كلهم مفسدين بالكفر، وكان بعضهم ربما كان يصلح في بعض أفعاله ، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك ، بل هم شر محض، فحقق خلوصهم للفساد ، بقوله مصرحاً بما أفهمته صيغة المضارع : ﴿فَضْلٍ فَذُوقُوا﴾ إشارة إلى عموم فسادهم ودوامه". [٢]

قال الزمخشري:" إن قلت: ما فائدة قوله: ﴿فَضْلٍ فَذُوقُوا﴾ ؟ قلت: فائدته إن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح، كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح" [٣]، وماذكرناه في هذه الآية ينطبق على قوله -تعالى-:﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾"[٤].

ومن شواهده – أيضاً- قوله -تعالى- :﴿غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾[٥].

التتميم في قوله -تعالى-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا﴾.

فقوله -تعالى- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا﴾ تتميم لابد منه؛ لأنه إذ لم يغتنم الدنيا ليعمل للآخرة لم يكن له نصيب منها ، والمراد: استعمل ما

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢٥٠/٨)،وإعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش (٢٢٤/٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٧٧/١٤)، والسراج المنير للخطيب الشربيني(٦٥/٣).

(٣) تفسير الكشاف، للزمخشري(٣٢٨/٣)، ومفاتح الغيب ، للرازي(٥٦١/٢٤).،أنوار التنزيل ، للبيضاوي (١٦٢/٤).

(٤) سورة الشعراء : الآية رقم(١٥٢).

(٥) سورة القصص : الآية (٧٧).

وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة [١].

ولو حذفنا عبارة التتميم من الآية تصير:﴿غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ..... كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾.

إذاً قوله –تعالى–:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا﴾ لايمكن الاستغناء عنها أو طرحها من الكلام ؛لأنها أفادت معنى جمالياً ، وهو الاحتياط في وصف " الدار الآخر" فالمراد : ولا تنس نصيبك من الدار الدنيا –أيضاً– ولا يكون هذا المعنى واضحاً إذا طرحت هذه العبارة من الآية ، فقد يظن ظان أن مراد الله –تعالى– من الآية أن يصرف الإنسان همه إلى الآخرة فقط ، فجاء بقوله –تعالى–:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا﴾ تتميماً على سبيل الاحتياط، فينبغي للإنسان أن يحتاط في أمره ، ويكون على بصيرة بأنَ يبْتَغِ فِيما آتاه اللَّهُ من الغنى والثروة الدَّارَ الْآخِرَةَ ، بأن يفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، ويجعله زاده إلى الآخرة، وَلا ينْسَ نَصِيبَه ،وهو أن يأخذ منها ما يكفيه ويصلحه. [٢] فيأخذ من دنياه لأخرته، كما قال – صلى الله عليه وسلم – : " لِيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّار" [٣].

قال صاحب الظلال:" في هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة ، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية للدكتور محمد مطني (٢٤٦/١).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري(٤٣١/٣).

(٣) أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده –باب: ليأخذ العبد من نفسه لنفسه – حديث رقم (٧٣٠)- (٤٢٥/١).

المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس، وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض؛ ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى، وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة" [(١)].

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من التتميم قوله –تعالى–:

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا ﴾[(٢)].

التتميم في الآية في قوله– تعالى–:﴿ قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾وَٱلۡإِنسِ فإنه لما تقدم اختصاص الله –تعالى– يومئذ بالملك والقهر والغلبة تممه بأن السلاطين والجبابره أذلاء محكومين فهو ينصف المظلوم من ظالمه ، وإن كان جباراً عنيداً.

إذاً قوله –تعالى–: ﴿ قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾وَٱلۡإِنسِ جملة لايمكن طرحها من الكلام ولا يمكن الاستغناء عنها إذ لو اقتصر على قوله: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ .....وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا ﴾ لظن ظان أن الجزاء في ذلك اليوم يحدث فيه مثل ما يحدث في بعض أقضية الدنيا من الظلم والجور، وعدم إعطاء كل ذي حق حقه فأتى – سبحانه وتعالى– بقوله: ﴿ قَبۡلِكُم مِّنَ

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٧١١/٥).
(٢) سورة غافر : الآية رقم (١٧).

﴿ٱلۡجِنِّ﴾ تتميماً لهذا المعنى، فاليوم يوم الجزاء الحق .يوم العدل ، فلا جور ولا محاباة ولا وساطات، وإنما تعطى كل نفس ما تستحقه من ثواب أو عقاب. (١)

فلما كان الظلم في الجزاء يقع على أربعة أقسام:

الأول: أن يستحق الرجل ثواباً فيمنع منه .

الثاني: أن يعطى بعض حقه ، ولكنه لا يوصل إليه حقه بالتمام .

الثالث: أن يعذب من لا يستحق العذاب.

الرابع: أن يكون الرجل مستحقًا للعذاب فيعذب، ويزاد على قدر حقه، فقوله –تعالى–: ﴿قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ يفيد نفي هذه الأقسام الأربعة ، فلا يقع في ذلك اليوم نوع من أنواع الظلم(٢) ، وهذا المعنى يبدوا لنا واضحاً جلياً من وقوع النكرة بعد لا النافية للجنس ﴿قَبۡلِكُم مِّنَ﴾؛ أي: جزاءً عادلاً لا ظلم فيه ، فليس فيه أي شوب من الظلم. (٣)

ويفهم –أيضاً– من تقديم ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ ، وتصدير الجملة بها إيحاء بأن الناس طالما أمهلوا من قبل حتى ظن كثير منهم أنه لا جزاء ولا حساب! فأخبر –تعالى– أنه سيبلغ في هذا اليوم كلّ حقّ مداه، وسينصف كل مظلوم ويقتصّ من كل ظالم، إن الجملة صيغت بهذا الشكل ردّاءً وتبكيتاً لأولئك الذين طالما تساءلوا في دار الدنيا عن أسباب تفاوت الناس في مظاهر السعادة ، ووجود مظاهر البؤس والفقر إلى جانب مظاهر النعمة والترف ، ونسبوا إلى الله من أجل ذلك الظلم والجور، قصداً إلى الإلحاد في ذاته وادّعاء عدم وجوده؛ فالجملة تقول لهؤلاء الناس– على سبيل التبكيت والتأنيب–: تستطيعون أن تطمئنوا اليوم إلى أن مثقال ذرّة من

---

(١) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي(٢٧٣/١٢).

(٢) تفسير مفاتح الغيب للرازي (٤٣/٢٧).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٣٠٧/٢٤).

العدالة لن يهدر، وإلى أن أحداً من الناس لن يظلم؛ إن حياتكم التي مرّت لم تكن إلا فصلاً صغيراً من قصة الوجود الإنساني كله، والحكم على القصة ما كان ينبغي أن يكون من خلال ما يتراءى من فصل واحد صغير فيها، وسترون من مجرى الحساب والجزاء اليوم، أن عين العدالة لم تغفل عن الإنسان لحظة واحدة في دنياه التي خلت. فلما كانت هذه الحقيقة إنما تتجلى وتتكشف للناس يوم القيامة، أسند نفي الظلم لى ذلك اليوم تصويراً لهذه الحقيقة كلها. (١)

ومن سياقات هذا النوع – أيضاً – قوله –تعالى–: ﴿نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ (٢).

التتميم في هذه الآية في قوله –تعالى–:﴿مِّنْ غِلٍّ﴾.

لما تحدثت الآيات عن حال أصحاب الشمال ، وما هم فيه من شدة وشر ، فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام يشوي الأجسام ، والماء متناه في الحرارة لا يبرد ولا يروي فهم في سموم وحموم ، ثم وصفهم بأنهم يستظلون بظل، ولكن هذا الظل من يحموم دخان من سواد جهنم ، والدخان الكثيف له ظل؛ لأنه يحجب ضوء الشمس .

ولما كان هذا الظل مظنة الاستظلال والراحة أتى الله –سبحانه وتعالى – بقوله:﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ تتميم على سبيل الاحتياط حتى لايتوهم متوهم أن هذا الظل للبرد والراحة ، ويكون فيه الانسان مكرماً، فقوله –تعالى–:﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ لنفي صفة المدح فيه ، وتمحيق لما يتوهم في الظل من الاسترواح إليه عند شدة الحر (٣)، فليس ذلك الظلّ ببارد، كبرد ظلال سائر الأشياء، ولكنه حارّ؛ لأنه دخان من سعير جهنّم، وليس بكريم؛ لأنه

(١) من روائع القرآن . لمحمد البوطي (٢٥٣/١).
(٢) سورة الواقعة:الآيات رقم (٤١-٤٤).
(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٩/٨).

مؤلم من استظلّ به، ومن عادة العرب أن تتبع كلّ منفيّ عنه صفة حمد نفي الكرم عنه، فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة. (١)

ولو تصورنا الآية بدون لفظ التتميم تكون: ﴿فِي صُدُورِهِم .....مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ فالتأمل في هذه الآية نجد أن لفظ الآية وإن كان مقبولاً إلا أن المعنى قد نقص حسنه ، ولم تؤدي هذه الآية بهذه الآلفاظ ما أفادته في حال وجود لفظ التتميم إذاً قوله –تعالى–:﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ لايمكن طرحها من الكلام لاحتياطها في وصف هذا الظل بأنه غير بارد وغير كريم –أيضاً–.

فقوله –تعالى–: ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ نفىَ لصفتى الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلاً، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر ، وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه؛ والمعنى: إنه ظل حار ضار، إلا أن للنفي في نحو هذا شأناً ليس للإثبات، وفيه تهكم بأصحاب المشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. (٢)

ويحتمل: أن يصفه بعدم الكرم على معنى: ألا كرامة لهم، وذلك أن المرء في الدنيا قد يصبر على سوء الموضوع لقرينة إكرام يناله فيه من أحد، فجمع هذا الظل في النار أنه سييء الصفة وهم فيه مهانون. (٣)

قال الرازي في الحكمة من الجمع بين وصف هذا الظل بكونه ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: والأقرب أن يقال: فائدة الظل أمران:

---

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣٠/٢٣).
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٤٦٣/٤).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤٦/٥).

الأول: دفع الحر.

والآخر: كون الإنسان فيه مكرماً.

وذلك لأن الإنسان في البرد يقصد عين الشمس ليتدفأ بحرها إذا كان قليل الثياب، فإذا كان من المكرمين يكون أبداً في مكان يدفع الحر والبرد عن نفسه في الظل، أما الحر فظاهر، وأما البرد فيدفعه بإدفاء الموضع بإيقاد ما يدفئه، فيكون الظل في الحر مطلوباً للبرد، فيطلب كونه بارداً، وفي البرد يطلب لكونه ذا كرامة لا لبرد يكون في الظل فقال: لا بارد يطلب لبرده، ولا ذي كرامة قد أعد للجلوس فيه، وذلك لأن المواضع التي يقع عليها ظل كالمواضع التي تحت أشجار وأمام الجدار يتخذ منها مقاعد فتصير تلك المقاعد محفوظة عن القاذورات، وباقي المواضع تصير مزابل، ثم إذا وقعت الشمس في بعض الأوقات عليها تطلب لنظافتها، وكونها معدة للجلوس، فتكون مطلوبة في مثل هذا الوقت؛ لأجل كرامتها لا لبردها، فقوله- تعالى-: ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ يحتمل هذا.

ويحتمل أن يقال: إن الظل يطلب لأمر يرجع إلى الحس، أو لأمر يرجع إلى العقل، فالذي يرجع إلى الحس هو برده، والذي يرجع إلى العقل أن يكون الرجوع إليه كرامة، وهذا لا برد له ولا كرامة فيه، وهذا هو المراد بقولهم: إن العرب تتبع كل منفي بكريم ، إذا كان المنفي أكرم ، فيقال: هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة، والتحقيق فيه أن وصف الكمال، إما حسي، وإما عقلي، والحسي يصرح بلفظه، وأما العقلي فلخفائه عن الحس يشار إليه بلفظ جامع؛ لأن الكرامة عند العرب من أشهر أوصاف المدح ، ونفيها نفي وصف الكمال العقلي، فيصير قوله -تعالى-: ﴿فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ معناه : لا مدح فيه أصلاً لا حساً ولا عقلاً. (١)

(١) مفاتح الغيب للرازي(٢٩/٤١٠).

وموضع أخر من مواضع ورود هذا النوع في القرآن- الكريم- قوله -تعالى-: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾[1].

أصل الكلام هنا: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ .....فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾، فلو لم تأت جملة **﴿ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾** بين قول المنافقين : **﴿لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ﴾**، وبين قوله- تعالى-: **﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾** لتوهم متوهم، أن الله- سبحانه - كذّب قول المنافقين أن محمداً -صلّى الله عليه وسلم- رسول الله ؛ وأن في هذا نفي أن يكون محمد -صلّى الله عليه وسلم - رسولاً من عند الله.

ولدفع هذا التوهم، وقطع طرق ادعاء المتزندقين جيء بهذه الجملة **﴿ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾** تتميماً على سبيل الاحتياط تحول بها قول الله - تعالى-:**﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾** من نفي أن يكون محمداً رسولاً ، إلى فضح هؤلاء المنافقين، وأنهم يقولون بألسنتهم ما لم تعتقده قلوبهم؛ أى: هم كاذبون في شهادتهم، لا من حيث أن محمداً -صلّى الله عليه وسلم- ليس رسولاً من عند الله- ولكن من حيث إنهم لا يؤمنون بهذه الرسالة، التي أثبتها الله لمحمد بأقطع البراهين[2]، فالتأكيد في قوله - تعالى-: **﴿ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾** لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر، أو ليس إلا ليوافق صنيعهم، وجيء بالجملة اعتراضاً ؛ لإماطة ما عسى أن يتوهم من قوله -عز وجل-: **﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ ﴾** من رجوع التكذيب

---

(١) سورة المنافقون : الآية رقم (١).

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة. لمجموعة من الأساتذة والعلماء(٤٦٧/١).

إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر، وذكر الطيبي أن هذا نوع من التتميم لطيف المسلك، ونظيره قول أبي الطيب:

وَتَحتَقِرُ الدُّنيا احتِقارَ مُجَرِّبٍ * يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحاشاكَ فَانِياً.** (١)

فالتكذيب راجع إلى﴿لَهُمْ﴾ باعتبار الخبر الضمني الذي دل عليه التأكيد ، وهو دعوى المواطأة في الشهادة ؛أي: والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه قولهم: ﴿لَهُمْ﴾ من دعوى المواطأة وتوافق اللسان والقلب في هذه الشهادة ؛ لأنهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– وتملقوا له، وبالغوا في التملق وفي باطنهم خلافُه. (٢)

وقال أكثر المفسّرين: إنه تكذيب لهم في هذه الشهادة، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، ولم يعتقدوا أنه رسول الله بقلوبهم، فسمّاهم كاذبين لذلك، فعلى هذا يكون ذلك تأكيداً لدفع إيهام من يسمع جملة ﴿فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ أنه تكذيب لجملة ﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ﴾ فإن المسلمين كانوا يومئذ محفوفين بفئام من المنافقين مبثوثين بينهم هجيراهم فتنة المسلمين فكان المقام مقتضيا دفع الإيهام. (٣)

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي. (٢٧٤/١).

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (٥٣٨/٤)،والمحرر الوجيز لابن عطيه (٣١١/٥)،والبحر المحيط لأبي حيان(١٧٩/١٠)،وروح المعاني للآلوسي (٣٠٣/١٤).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٣٥/٢٨)،البحر المديد لابن عجيبه

المطلب الثالث

ضابط تتميم النقص ، ونماذج تطبيقية لهذا النوع حسب ورودها في القرآن الكريم.

أولًا: ضابط تتميم النقص.

يمكن ضبط هذا النوع من التتميم بأنه: إنما يؤتى به لينقِصَ من دلالة اللفظ السابق ، أو إزالة معنى منه ، وذلك بأن تأتي في الآية جملة، أو كلمه توهم المعنى وتؤدي إلى اللبس لو تركت على إطلاقها ، فيؤتى بالتتميم لينقص من معنى هذه الجملة ، أو الكلمة مايؤدى إلى اللبس وهذا المعنى غير مراد.

ثانيًا نماذج تطبيقية لهذا النوع من التتميم حسب ورودها في القرآن الكريم.

من سياقات هذا النوع ما جاء في سياق ذكره –تعالى– لوصف المنافق الذي نعتَ نعتَه لنبيه –عليه الصلاة والسلام–، إذا قيل له:" اتق الله وخَفْهُ في إفسادك في أرْض الله"، استكبر ودخلته عِزة وحَمية بما حرّم الله عليه، وتمادى في غيِّه وضلاله، فكانت عقوبتة أنه صلى نار جهنم ، **في قوله –تعالى– :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾** (١).

فقد وصف الله –تعالى– هذا المنافق بقوله: ﴿**أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ** ﴾ و لما كانت العزة نوعان: محمودة ، ومذمومة، فتتم– سبحانه وتعالى– وصفه وقيده بقوله :﴿**بِٱلْإِثْمِ ۚ** ﴾؛ لئلا يتوهم متوهم، أن المراد بالعزة هنا العزة المحمودة ،فتمم الكلام بها لنقص المعنى المحمود منها ، وبيان أن العزة التى اعترت هذا المنافق العزة المذمومة ؛لأنها في معصية الله –تعالى–

فلو حذفنا لفظ التتميم من الآية تصبح ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ.....ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ولو تأملنا هذه الآية بعد حذف التتميم لالتبس علينا الأمر؛ فأي معنى يريد الله –تعالى– من العزة التي

(١) سورة البقرة:الآية رقم (٢٠٦).

وصف الله بها هذا المنافق ، وحتى لايتوهم متوهم أن العزة في هذه الآية هي العزة المحموده تمم الله–تعالى– هذه اللفظة التى توهم معنى غير مراد بكلمة (بالإثم) لتبين لنا أن المراد بالعزة في هذه الآية هي العزة المذمومة.

قال أبو حيان :" في قوله –تعالى–: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ نوع من البديع يسمى التتميم؛ وهو: إرداف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس، وتقربه للفهم، وذلك أن العزة محمودة ومذمومة، فالمحمودة طاعة الله، كما قال– تعالى–: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]،﴿لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا﴾ [٢]، قوله –تعالى–: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣]، فلما قال: ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ ، اتضح المعنى وتم، وتبين أنها العزة المذمومة المؤثم صاحبها" [٤].

وهذا ما يفهم من كلام ابن مسعود لما قال : "لا ينبغي للرجل أن يغضب إذا قيل له : اتق الله ، أو تقول: أو لمثلي يقال هذا؟ ، وقيل لعمر: "اتق الله"، فوضع خده على الأرض تواضعا، وقيل: سجد، وقال: "هذا مقدرتي". وتردد يهودي إلى باب هارون الرشيد، سنة فلم يقض له حاجة، فتحيل حتى وقف بين يديه، فقال:" اتق الله يا أمير المؤمنين": فنزل هارون عن دابته، وخر ساجداً، وقضى حاجته، فقيل له في ذلك، فقال تذكرت قوله –تعالى– :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [٥].

وجاء التعبير بالباء التي تفيد الملابسة والمصاحبة ، لتضيف نكتة بلاغية أخرى إلى هذا التعبير ؛أي: أخذته العزة الملابسة للإثم والظلم ؛ لأن من العزة ما هو محمود قال –تعالى–: ﴿لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا﴾ ؛ أي: فمنعته من قبول الموعظة وأبقته حليف الإثم الذي اعتاده لا يرعوي عنه وهما قرينان[٦].

---

(١) سورة المائدة: الآية رقم (٥٤).
(٢) سورة المنافقون: الآية رقم(٨).
(٣) سورة النساء: الآية رقم (١٣٩).
(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٦٦/٢)
(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٣٣٣/٢).
(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢٧١/٢).

ومن سياقات هذا النوع من التتميم ما جاء في سياق ذكر أسماء الله –تعالى– وصفاته في قوله –تعالى–: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

هذه الآية الكريمة قد اشتملت على كثير من أسماء الله–تعالى– الحسنى وصفاته العليا، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه ؛ فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي. [2]

المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن قوله –تعالى–: ﴿لَا﴾ جاء تتميماً لقوله –تعالى– ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وإذا تصورنا الآية الكريمة بغير هذه اللفظة فحينئذ تكون﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ .....نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فلفظ الآية بهذا التركيب مقبول ،إلاَّ أن المعنى موهم ، فحتى لا يتوهم – متوهم –وقوع الظلم والجور وغيرها من النقائص التي هو– سبحانه وتعالى– منزه عنها، كما يحدث مع ملوك الدنيا عندما يدفعهم الترف إلى عدم العدل ، والوقوع في الشهوات والاسترسال فيها، كما قال –تعالى– حكاية عن مقالة بلقيس ﴿ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾[3]، فعقب بـ ﴿لَا﴾ من قبيل تتميم النقص إشارة إلى أنه منزه عن نقائص الملوك المعروفة من الغرور، وتغير أحوالهم بالجور والظلم والاعتداء فى الأحكام وفيما يترتب

(١) سورة الحشر: الآية رقم (٢٣).
(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٨٥٤/١).
(٣) سورة النمل:الآية (٣٤).

عليها ، والاسترسال في الشهوات ونحو ذلك من نقائص النفوس؛ فإن ملكه –تعالى– لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك في وصفه. (١)

قال البقاعي:" فلما كان المُلْك أصل ما لحق الخلق من الآفات ؛ لأنه رأس الشر الذي هو باب الترف الملازم لمخالفة كتاب الله ، أما في الأعمال فيكون فتنة، وأما في الرأي فيكون علواً وكبراً وكفراً، فإن أمر الله في آدم على ما هو نبوة، ثم ينزل فيصير خلافة ،ثم ينتهي نزوله فيكون ملكاً ،ثم تتداعى الأحداث، فلما كان تداعي الملك لموجبات الذم، قال عقب صفات الملك: ﴿لَا﴾ مصرحاً بما لزم عن تمام ملكه من أنه بليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حسن ، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير، فإن القدس

طهر لا يقبل التغير، ولا يلحقه رجس، فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس، ولما كان ما حوّل –سبحانه– الخلق من حال طهر لا يظهر فيه تغير بما دونه أجرى عليهم اسم القدس، كروح القدس المؤيد للشارع، ينفث في روعة المؤيد لشارعه في مكافحته عنه، ولأجل قصر تخلي الخالق بالملك في قليل متاع الدنيا رغب النبي العبد– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عنه، واختار العبودية الدائمة بدوام العزة لسيده، فوضح بذلك علم أن لا قدوس إلا الله حقيقة معنى، وتصحيح إحاطة"(٢).

ومن أبرز السياقات التي ورد فيها هذا النوع من التتميم قوله– تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (٣).

فكلمة :﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ في قوله – تعالى –:﴿غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تتميم نقص جيء به لنقص ما في صفة هؤلاء القوم من المنفعة ، فإنهم كانوا رجالاً أجمل شيء، وأفصحه، فكان نظرهم يروق وقولهم يخيب، ولكن

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور(١٠٧/٢٨)،وروح البيان (٤٥٨/٩).
(٢) نظم الدرر للبقاعي (٤٧٠/١٩،١٦٩).
(٣) سورة المنافقون الآية رقم (٤).

الله- تعالى- جعلهم "**كالخشب المسندة**" ، وإنما هي أجرام لا عقول لها، معتمدة على غيرها، لا تثبت بأنفسها، ومنه قولهم: تساند القوم إذا اصطفوا وتقابلوا للقتال، وقد يحتمل :أن يشبه اصطفافهم في الأندية باصطفاف الخشب المسندة وخلوهم من الأفهام النافعة خلو الخشب من ذلك(١).

فجئ بلفظة (مسندة) فى هذه الآية لنفي ما قد يتصور من أن الخشب يستخدم في منفعة من المنافع، فشبهوا في استنادهم، وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ؛ ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف ، أو جدار ، أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكاً فارغاً غير منتفع به أسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع.(٢)

وفي هذه الآية –أيضاً- نقل صفة الجامد الذي لا حياة له عن طريق التشبيه الصريح، وإضفاؤها على المنافقين الأحياء الجالسين المستندين إلى جدار مجلس الرسول بأجسامهم الْمَهِيبَة؛ لأنّ حالتهم النّفسية المنصرفة كلّياً عمّا يجري حولهم تُوقِعُ في التخيّل أنّهم بمثابة الخُشُب المسنّدة(٣).

فنموذج المنافقين مثال للبلاهة والخوف، وعدم الانتفاع منه، ويتمثّل هذا النموذج في الأجسام الضخمة، التي تعجب في مظهرها الخارجي، ولكنها في حقيقتها خالية من الروح؛ وأيّ: مضمون مفيد، كذلك يتمثّل في الأقوال المنمّقة، التي تسمع وتطرب، ولكنها لا تحتوي على أساس ترتكز عليه، فالمنافقون في المجتمع أشبه بالأخشاب المسندة إلى جدار، كالتماثيل بلا حركة ولا موقف، لأن نفوسهم مهزوزة، يحسبون كل صيحة عليهم، تفضحهم وتكشف سرّهم.

على حدّ قول حسان:

لاَ بَأْسَ بالقَوْمِ من طُولٍ ومن عِظَمٍ جِسْمُ البغالِ وَأَحْلاَمُ الْعَصَافِيرِ (٤).

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطيه (٣١٢/٥).

(٢) الكشاف ، للزمخشري (٥٤٢/٤)، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢٦٦/٢)، ومحاسن التأويل، للقاسمي (٢٣٥/٩).

(٣) البلاغة العربية (٩٣/١).

(٤) ديوان حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي (١١٢/١)،و مجمع الأمثال .لأبي الفضل أحمد بن إبراهيم النيسابوري (٢٥٤/١).

دقيقة:

من العرض السابق تبين لنا أثر الإعجاز البياني الذي أفاده هذا النوع من البلاغة (التتميم) في الآيات التي اشتملت عليه ، وكنت في المطالب الثلاثة السابقة قد قسمت الشواهد القرآنية التي اشتملت على كل قسم من أقسام التتميم وأفردت لها مطلب على حده ، وإتماماً للفائده كان لزامًا أن نتعرض لقول الله –تعالى– : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وكان لاشتمال هذه الآية على أقسام التتميم الثلاثة (المبالغة ، والاحتياط ، والنقص) آثرت وضعها في آخر المباحث، ولم أقطعها على المطالب الثلاثة السابقة كل في موضعه ، حتى تكون خلاصة للبحث ، ولكي لا أخرجها عن نظمها وإعجازها .

والمتأمل في هذه الآية السابقة يجد أنها اشتملت على تتميم المعنى بأقسامه الثلاثة (مبالغة – نقص – واحتياط) وبيان ذلك كالتالي:

أولًا : تتميم المبالغة وذلك في موضعين .

الموضع الأول: في قوله –تعالى– : ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾[2]

فالله سبحانه وتعالى– لو اقتصر في وصف البستان على قوله : ﴿جَنَّةٌ﴾ لكان كافيًا، ولكنه قد يوهم أن هذا البستان مثل سائر البساتين ، وذلك لأن لفظ الجنة يصدق على كل شجرٍ مجتمع يستر بظل غصونه الأرض كائنًا ما كان، فلإزالة هذا الوهم واللبس ومبالغة في وصف نفع الجنة وكمال أمرها وعظم نفعها تمم –سبحانه وتعالى –بذكر أنواع الشجر المشتمل علي هذا

---

(١) سورة البقرة : الآية رقم(٢٦٦).

(٢) قال أبو حيان: لما كان النخيل والأعناب أكرم الشجر وأكثرها منافع، خصا بالذكر، وجعلت الجنة منهما، وإن كان في الجنة غيرهما، وحيث جاء في القرآن ذكر هذا، نص على النخيل دون الثمرة. وعلى ثمرة الكرم دون الكرم، وذلك لأن أعظم منافع الكرم هو ثمرته دون أصله، والنخيل كله منافعه عظيمة، توازي منفعة ثمرته من خشبه وجريده وليفه وخوصه، وسائر ما يشتمل عليه، فلذلك، والله أعلم، اقتصر على ذكر النخيل وثمرة الكرم. البحر المحيط(٦٧٢/٢).

البستان حتى يعلم كمال أمره؛ وذلك لأن من الشجر ماله نفع عظيم عميم كالنخيل والأعناب، فإذا كانت الجنة عظيمة الفائدة ثم احترقت كان أسف صاحبها أعظم ومصابه أفدح . وهذا المعنى لم يكن ليفيده لفظ الآية قبل إضافة ألفاظ التتميم.

ثانيًا: في قوله –تعالى–:﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

فالجنة لو كانت من نخيل وعنب كانت نافعة لكن لو جمعت إلى النخيل والأعناب كل الثمرات كان وصفها أتم ونفعها أعظم، والأسف على فسادها أشد فقال – تعالى– :﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ، متممًا لذلك تتميم مبالغة.

والمتأمل في هذه الآية يج أنها وصفت الجنة بثلاث صفات مبالغة في حسنها وكرمها.

الصفة الأول : كونها من نخيل وأعناب.

فالجنة تكون محتوية على النخيل والأعناب، ولا تكون الجنة من النخيل والأعناب إلا أن بسبب كثرة النخيل والأعناب، صار كأن الجنة إنما تكون من النخيل والأعناب، وإنما خص النخيل والأعناب بالذكر لأنهما أشرف الفواكه ولأنهما أحسن الفواكه مناظر حين تكون باقية على أشجارها.

قال الزمخشري"فإن قلت كيف قال: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ثم قال: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قلت النخيل والأعناب لما كانا اكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما " [1].

الصفة الثانية : اشتمالها مع النخيل والأعناب على جميع أنواع الثمرات.

فقال –تعالى–: في وصفها ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار ، وهذا سببًا لكمال حالها، ولا شك أن هذه الجنة تكون في غاية الحسن، لأنها مع هذه الصفات حسنة الرؤية والمنظر كثيرة النفع والريع.

---

(١) تفسير الكشاف ، للزمخشري(٣٤٢/١).

فهذه الصفات التي وصف الله – تعالى –بها هذه الجنة جاءت تتميمًا على سبيل المبالغة في وصف حالها ونفعها فقد أدت إلى زياده دلالية في وصف حال هذا البستان فنجد أن الله –سبحانه وتعالى– لو اقتصر في وصف البستان بكونه جنة من غير اضافة ألفاظ التتميم (من نخيل وأعناب– كل الثمرات) لظن ظان أنها مجرد بستان مثله مثل سائر البساتين فإذا اصابه ما أصابه من الإحراق لم يكن الحزن عليه شديد لكن بعد هذه الإضافة التي صورت لنا حال الجنة وثمارها وحسنها ونفعها ، فإذا أصابها الإحراق كان الندم عليها أشد وأعظم ، ولا يمكن لنا أن نتصور هذا الأسف والندم على أمرها إلا بإضافة هذه الألفاظ.

والصفة الثالثة: جريان الأنهار من تحتها.

فقوله– تعالى– : ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ سبب لزيادة الحسن في هذه الجنة، وهنا يأتي الموضع الثاني : تتميم النقص.

فالماء سر الحياة في جميع المخلوقات من الزروع والثمار وغيرها ، لا يكمل لهم حياة ولا يشتدوا ويؤتوا الفائدة المرجوة منهم إلا بالسقيا ، فلو كانت الجنة بغير ماء فليس لها قيمة، ورزعها يصير حطامًا ، ولا يرجى منها ثمر ، فالجنة ما لم تجر الأنهار من تحتها لم يثمر شجرها ولم ينتفع بسكنها ولم تكن لها حياة البتة، فتمم سبحانه وتعالى– هذا النقص بقوله– تعالى–: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، فنقص من الآية معنى سلب الحياة من الزروع والثمار بسلب المياه. فهذه الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وهذا المعنى لا يفهم من الآية إلا بعد إضافة ألفاظ التتميم.

ثالثًا: تتميم الاحتياط. في قوله –تعالى–: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ﴾ ﴿ضُعَفَآءُ﴾ ﴿فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾.

لما فرغ – سبحانه وتعالى– من أوصاف الجنة أخذ في وصف صاحبها: فوصفه بالكبر، لأنه لو كان شاباً لرجا أن يخلفها بعد إحراقها لما يجد في نفسه من القوة، وما يأمل من طول المدة، فقال محتاطًا: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾.

ثم علم – سبحانه وتعالى– أنه إذا كان عقيمًا مع الكبر سلّاه عنها قرب المدة وعدم من يهتم بضياعه بعده فلا يشتدّ أسفه عليها، فقال – عزّ وجلّ– محتاطًا –أيضًا– : ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾ .

ثم علم أنه إذا لم يصف الذرية بالضعف احتمل الإطلاق أن يكونوا أقوياء، فيترجى إخلافهم لها، فيخفض ذلك من أسفه فقال محتاطاً: ﴿ضُعَفَآءُ﴾ ، ثم لما فرغ من وصف الجنة أخذ في وصف الحادث المهلك لها بقوله –عزّ وجلّ–:﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾[1].

وعلم– تبارك اسمه– أن الإعصار لا يعجل فساد هذه الجنة، ولا يحصل هلاكها به إلا بعد استمراره عليها في مدة طويلة، وهو يريد الإخبار بتعجيل هلاكها فقال: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾[2].

ثم اقتصر – سبحانه وتعالى– من الرياح على الإعصار لكونه عبارة عن تقابل الرياح المثيرة للعجاج الكثيف الذي يعمي دوامه عيون الماء، ويطم الآبار والأنهار، ويحرق بسمومه ورهجه الأشجار، وإذا اتفق مع ذلك أن تكون فيه نار أدارها على المكان الذي يكون فيه بحيث لا ينصرف عنه، لأنه لا يقصد وجهة مقابلة فينصرف ما يكون فيه إليها، ثم علم الله– سبحانه وتعالى أن النار يحتمل أن تكون ضعيفة فتطفأ لضعفها عن مقاومة ما في الجنة من الأنهار، ورطوبة الأشجار، فاحتاط لذلك بقوله: ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ فنفى هذا الاحتمال، وأوجز تتميم المعنى المراد. أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا يقوم إحراقها بإطفاء أنهارها وتجفيف كل أوراقها وثمارها، فأخبر بإحراقها[3].

---

(١) الإعصار: ريح عاصفة تستدير في الأرض ثم تنعكس عنها إلى السماء حاملة للغبار، فتكون كهيئة العمود، جمعه أعاصر وأعاصير. : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مادة :عصر) (٧٥٠/٢).

(٢) والمراد بالنار: السموم الشديد، أو البرد الشديد روايتان عن السلف ذكرهما ابن جرير بأسانيده وهو دليل على أن النار تطلق على كل ما يحرق الشيء ولو بتجفيف رطوبته. تفسير المنار (٥٨/٣).

(٣) تحرير التحبير (٥٤٢/١).

قال أبو حيان: " قال (فيه) ، فأتى بالضمير مذكرًا، لأن الإعصار مذكر من سائر أسماء الرياح، وارتفاع:(نار) ، على الفاعلية بالجار قبله، أو: كائن فيه نار، وفي العطف بالفاء في قوله:(فأصابها إعصار) ، دليل على أنها حين أزهت وحسنت للانتفاع بها أعقبها الإعصار فاحترقت هذا فعل مطاوع لأحرق، كأنه قيل:" فيه نار أحرقتها فاحترقت" ، **كقولهم: "أنصفته فانتصف، وأوقدته فاتقد"**، وهذه المطاوعة هي انفعال في المفعول يكون له قابلية للواقع به، فيتأثر له. " [١].

فقد وردت هذه الآية تمثيل لنهاية المن والأذى، كيف يمحق آثار الصدقة محقاً في وقت لا يملك صاحبها قوة ولا عوناً، ولا يستطيع لذلك المحق رداً. تمثيل لهذه النهاية البائسة في صورة موحية عنيفة الإيحاء. كل ما فيها عاصف بعد أمن ورخاء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٢].

فقد روي عن ابن عباس، قال:" ضرب الله مثلًا حسنًا وكل أمثاله حسن، قال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات يقول صنعه في شيبته وأصابه الكبر وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى الله عز وجل، ليس له خير فيستعتب، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدم لنفسه خيرًا يعود عليه، كما لم يغن عن هذا ولده، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حرم هذا جنته عند ما كان أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته"[٣].

هكذا نجد أن الآية قد تضمنت من الدقائق واللطائف من سوق المثل وهو إبطال العمل الذي يعمل لغير وجه الله ، أيّا كان صاحبه، مرائيا أو منّانا

---

(١) البحر المحيط ، لأبي حيان (٧٦٢/٢).
(٢) في ظلال القرآن ، لسيد قطب(٣١١/١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٥٣٥/١).

أو غير ذلك. وترسم الجنة بمشاهد تجذب الأنظار إليها في بداية المثل، ليزداد الألم والحسرة عليها في نهاية التصوير حيث نرى مشهد تدميرها بشكل مؤثر، وهو مشهد سريع خاطف، مصوّر بتعاقب الفاءات العاطفة، لتحقيق التأثير السريع والعميق [١]. فالمرائي بصدقته الذي ينفقها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فإنه سيفقد هذا الثواب في وقت هو بأمس الحاجة إلى ما يثقل ميزان حسناته.

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن ،لعبد السلام الراغب(١٨٧/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير الآنام محمد وصحبه وآله ، ومن سار على منواله إلى يوم الدين.

هذا وفي نهاية المطاف في رحاب كلام رب العالمين في محاولة لإبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم من الناحية البيانية ، فالقرآن الكريم لا ينضب معانيه ولا يخلق على كثرة الرد فكلما أجال فيه الباحثون عقولهم وتدبروا في معانيه أفاض الله –سبحانه وتعالى– عليهم من فيوضاته ما يبرز إعجازه ويجلي معانيه ، ومن خلال معايشتي لهذا البحث قد وفقني الله –تعالى – في الوصول لبعض النتائج منها:

١- التتميم الذى اشتمل عليه القرآن الكريم هو تتميم المعنى فقط دون تتميم اللفظ – الوزن– ؛ لأن العرب قد عدته من عيوب الفصاحة .

٢- التتميم يؤتى به لفوائد كثيرة منها المبالغة ، والاحتياط في الوصف ، والنقص.

٣- كل لفظ ورد في القرآن الكريم بل كل حرف موضوع في موضعه لا يحدوا عنه ولا يتعداه مشتملًا على فائدة فهمها من فهمها وعمي عنها من عمي.

٤- التتميم أسلوب بلاغي انطوى عليه القرآن الكريم فأضفت على الآيات التي اشتملت عليه إعجازاً بيانياً ؛ ينبىء عن الهية مصدره ، فإنه وإن جرى على عادة العرب في القول إلا أنه لمباينة كلام الله – تعالى– لأساليب ومناهج البشر في التأليف أعجزت هؤلاء الفصحاء فلم يستطيعوا معارضته وهم أهل اللغة.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : التفسير.

١- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير ،لأبي بكر جابر الجزائري ، ط : دار السنة للتوزيع – الثانية (١٤١٩ هـ) .

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي محمد بن محمد بن مصطفي العمادي الحنفي ت (٩٨٢ هـ) خرج أحاديثه وعلق عليه وضبطه ووضع فهارسه الشيخ ، محمد صبحي حلاق ، ط : دار الفكر – بيروت – الأولى (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) .

٣- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت (٧٥٤ هـ) ط : دار الفكر- بيروت (١٤١٢ هـ – ١٩٩ م) .

٤ – البحر المديد ، للمؤلف أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الأدريسي الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت الثانية (١٤٢٣ هـ) .

٥- التحرير والتنوير، لسماحة الأستاذ العلامة الشيخ ، محمد الطاهر بن عاشور ط : الدر التونسية للنشر والتوزيع – بدون طبعة وبدون تاريخ .

٦- التفسير القيم ، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن القيم ت (٧٥١ هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ/ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى – (١٤١٠ هـ).

٧ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج ، تأليف : وهبة الزحيلي – ط : دار الفكر – بيروت – الأولى (١٤١١ هـ – ١٩٩١ م) .

٨- الجامع لأحكام القرآن ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت (٦٧١ هـ) قدم له فضلية الشيخ : محي الدين الميس ، ضبطه ومراجعه على الأصول : صدقي جميل العطار ، خرج أحاديثه الشيخ عرفات العشا ، ط : دار الفكر – بيروت – الأولى (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م) .

٩- السراج المنير ،–المؤلف محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ط : دار الكتب العلمية – بيروت –بدون تاريخ .

١٠ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحماوي مكتبة مصر بدون تاريخ .
١١– اللباب في علوم الكتاب ، للإمام المفسر أبي حفص عمر بن على بن أبي عادل الدمشقي الحنبلي ت (٨٨٠ هـ) تحقيق /عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد معوض – ط دار الكتب العلمية بيروت –الأولى (١٤٢٩٠ هـ – ١٩٩٨٠ م)
١٢ – المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية بن مكرم المحاربي، المحقق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط : دار الكتب العلمية –الأولى – (١٤٢٢ هـ) .
١٣ – النكت والعيون ، لأبي الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ت (٤٥٠ هـ) راجعه/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ط : دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان /بدون تاريخ .
١٤ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت– الأولى (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩) .
١٥ – أيسر التفاسير لكلام العلي القدير ،لأبي بكر جابر الجزائري ، ط : دار السنة للتوزيع – الثانية (١٤١٩ هـ) .
١٦– تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط : مكتبة دار التراث العربي – القاهرة– بدون تاريخ .
١٧ – تفسير القرآن العظيم مسنداً إلى رسول الله والصحابة والتابعين ،لأبي حاتم عبد الرحمن بن إدريس الرازي ت (٣٢٧هـ) ، تحقيق/ أسعد الطيب ،الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة – (١٤١٩ هـ).
١٨ – تفسير المراغي ، لأحمد مصطفي المراغي ، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى (١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م).

١٩ – تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ت : (٣٧٦ هـ) تحقيق : محمد زهري النجار ، ط : دار الكتب – بيروت ط : الثانية (١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م) .
٢٠– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر بن جرير الطبري ، دار الفكر – بيروت ، ضبطه ووثقه : صدقي جميل العطار ، طبعة دار الفكر – بيروت (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) .
٢١– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت (١٢٧٠ هـ) قرأه وصححه ، محمد حسين العرب ، ط : دار الفكر – بيروت (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) .
٢٢ – زهرة التفاسير ، للعلامة محمد أبو زهرة ، طبعة : دار الفكر العربي – القاهرة (١٤١٦ هـ – ١٩٧٤ م) .
٢٣ – صفوة التفاسير ، لمحمد على الصابوني ، ط : دار الصابوني –الأولى (١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) .
٢٤ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة : نظام الدين الحسين بن محمد الحسين القمي النيسابوري ت (٧٢٨ هـ) تحقيق: زكريا عميرات ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م) .
٢٥ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني ، طبعة : دار الحديث القاهرة – الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م) .
٢٦ – في ظلال القرآن الكريم ،لسيد قطب ، طبعه : دار الشروق الحادية والثلاثون – بدون تاريخ .
٢٧ – لباب التأويل في معاني التنزيل ،لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (٧٢٥ هـ) ط : دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ .
٢٨– محاسن التأويل ، لجمال الدين محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي ط : دار الفكر – بيروت الثانية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) .

٢٩ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،للإمام –الجليل– أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ط : دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي – بدون تاريخ .
٣٠ – مفاتيح الغيب ،للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين بن علي التميمي البكرى الرازي الشافعي ت (٦٠٤ هـ) ط : دار الكتب العلمية – بيروت –الأولى– (١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م) .
٣١ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت : ٨٨٥ هـ) دار الكتب الإسلامية – القاهرة – الثانية (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م) .

ثالثاً: علوم القرآن الكريم.

١–الإتقان في علوم القرآن للحافظ: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : مكتبة دار التراث القاهرة –الثالثة (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) .
٢–البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدين أبي إبراهيم عبد الله محمد بن بهادر الزركشي تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : دار الحبل – بيروت – (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) .
٣–الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، لمحمود صافي –تحقيق محمود صافي ، ط : دار الرشيد – دمشق – الثانية (١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .
٤–مباحث في علوم القرآن ، للدكتور مناع القطان – ط مؤسسه الرسالة – بيروت – لبنان – الثالثة (١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م) .
٥–معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى(١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
٦–مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق / أحمد بن على – ط : دار الحديث/ القاهرة (١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).
٧– الموسوعة القرآنية المتخصصة : مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

رابعاً: الحديث الشريف وشروحه.

١-الجامع الصحيح لسنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى -أبو عيسى - الترمذي السلمي ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر- الطبعة الثانية(١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

٢-سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد- أبو عبد الله -القزويني ، تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي ط : دار الفكر - بيروت - بدون تاريخ .

٣-سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث السجستاني ، ط : دار الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ .

٣- سنن النسائي لأحمد بن شعيب -أبو عبد الرحمن - النسائي ، تحقيق /عبد الفتاح أبو غده ، ط : مكتب المطبوعات الإسلامية حلب - الثانية (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦) .

٤- سنن البيهقي الكبرى ،لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق /محمد عبد القادر عطا ، ط : مكتبة الباز- مكة المكرمة -(١٤١٤ هـ) .

٥- صحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل - أبو عبد الله - البخاري الجعفي، تحقيق د / مصطفي ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق دار ابن كثير - اليمانة - بيروت - الثالثة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

٦- صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد- أبو حاتم- التميمي البستي ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ط :مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .

صحيح مسلم ،لأبي الحسين بن الحجاج بن مسلم القيشري النيسابوري ، ط : دار الجيل - بيروت - بدون تاريخ .

٧- المعجم الأوسط ،للطبراني . تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد بن عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ط : دار الحرمين للنشر القاهرة بدون تاريخ.

٨- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله - أبو عبد الله - الحاكم النيسابوري ت (٤٠٥ هـ) تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٩م)

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ط: مؤسسة الرسالة – الثانية (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .
١٠ - مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير(مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمامِ عبد الرؤوف المناوي) ، لأبي /عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). بدون طبعة ، وبدون تاريخ.
١١- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية- بدون تاريخ.
١٢- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ) ، ط: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة (١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م) .
١٣-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ط:دار السعادة – مصر، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
١٤- أمالي ابن بشران المؤلف: أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران بن محمد بن بشْران بن مهران البغدادي (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، ط: دار الوطن، الرياض الطبعة: الأولى(١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).

خامساً : اللغة.

١- أنوار الربيع في أنواع البديع، لصدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ)، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) ط: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الأولى،(١٤١٦ هـ - ١٩٩٧ م).
٣- تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضي الزبيدي – تحقيق / مجموعة من لمحققين – ط : دار الهداية – بدون تاريخ .
٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تحقيق/ الدكتور حفني محمد شرف ، ط: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٥- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، تأليف: علي علي صبح ، ط: المكتبة الأزهرية للتراث– بدون تاريخ.
٦- خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق/عصام شقيو، ط: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار– بيروت: الطبعة الأخيرة (٢٠٠٤م).
٧- ديوان الخنساء ، اعتنى به وطرحه :حمدو طماس ، ط: دار المعرفة –بيروت – بون تاريخ.
٨- ديوان امرىء القيس ، تحقيق : مصطفى عبد الشافي ،ط: دار الكتب العلمية ، الخامسة (١٤٢٥/٢٠٠٤).
٩- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق: عبد مهنا ، ط: دار الكتب العلمية ، الثانية (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
١٠- ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه : محمد جبار المعيبد، منشورات وزارة الثقافة والارشاد _ مديرية الثقافة العامة– بغداد– (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م).
١١- الصناعتين ،لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق/ علي

محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية – بيروت (١٤١٩هـ) .

١٢- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) ط: المكتبة العنصرية – بيروت الأولى، (١٤٢٣ هـ).

١٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي –أبو البقاء –الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)،المحقق /عدنان درويش – محمد المصري،ط: مؤسسة الرسالة – بيروت– بدون تاريخ .

١٤- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت : ٧١١ هـ) ط : دار صادر بيروت الأولى بدون تاريخ .

١٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ا بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق/ أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

١٦- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد –ط: دار المعرفة – بيروت، لبنان– بدون تاريخ.

١٧- مختار الصحاح الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت:٧٢١ هـ) ط : مكتبة لبنان – بيروت (١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) .

١٩- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط: عالم الكتب – بيروت– بدون تاريخ.

٢٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل – ط: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).

٢١- المعجم الوسيط : تأليف إبراهيم مصطفي الزيات ، حامد عبد القادر محمد النجار ، تحقيق/مجمع اللغة العربية ط : دار الدعوة – بدون تاريخ.
٢٢- معجم ديوان الأدب ، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر ، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس – طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة(١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م) .
٢٣- معجم مقاييس اللغة ،لابن فارس أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن – تحقيق /عبد السلام محمد هارون ، ط : دار الفكر (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م).
٢٤- من بلاغة القرآن، المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ط: نهضه مصر – القاهرة (٢٠٠٥).
٢٥- من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، المؤلف: محّمد سَعيد رَمضان البوطي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت عام النشر: (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).
٢٦- المنصف للسارق والمسروق منه، للحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (المتوفى: ٣٩٣هـ)،حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس – ط: جامعة قات يونس، بنغازي الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م
٢٧- نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، ط: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى (١٤٢٣ هـ).